محاضرات دينية

بقلم

البرونو سنجلوس بولس الخوري

صاحب مجلة « الارثوذكسية »

اتفق على طبعها

اسكندر الياس الخال

وتطلب منه

مخطوطة لبنانية

مطبعة دار الفنون * بيروت ١٩٤٦

CA
204 : K45 mA : C1

الخوري - (البرتوسيجلوس) بولس

محاضرات دينيه

JAN 29 7297

CA
204
K45mA
C.1

AMERICAN DRUSE
LIBRARY
OF BEIRUT

محاضرات دينية

بقلم

البوتوسنجلوس بولس الخوري

صاحب مجلة الارثوذكسية

Cat. Dec. 1946

67190

بيروت. مطبعة دار الفنون ١٩٤٦

AMERICAN UNIVERSITY
LIBRARY
OF BEIRUT

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

العلم والدين

اذيعت من راديو الشرق في ١٣ و ٢٥ سنة ١٩٤٠
ونشرت في مجلة «الامالي» عدد ١٠ شباط سنة ١٩٤٠

*

تعددت في بلادنا المدارس وكثر عدد المتعلمين وانتشرت بيننا النظريات العلمية الحديثة، وليس بين الكتب التي يطالعها شبابنا ما يشير الى علاقة العلم بالدين. وهذا ما حدا بي لاختيار العلم والدين موضوعاً لحديثي:

سنة ١٩٠١ وقف عالم فرنسي هو «بارتالو» Berthelo والقى خطاباً نشرته مجلة باريس «Revue de Paris» قال فيه:

«ينبغي ان يحتل العلم مركز الدين» فهل هذا مستطاع؟

قبل الاجابة على هذا السؤال، انرَ ما هو العلم وما هو الدين؟

العلم هو معرفة الكائنات والمنظورات بحسب اسبابها الاولية وقوانينها بل هو مجموعة المعارف التي توصل اليها الانسان بأبحاثه وملاحظاته واختباراته.

اما الدين فهو شعور غريزي بأن لهذا الكون خالقاً يعتني بما خلق. بل هو الرابطة بين الله والانسان كما تدل الكلمة الفرنسية Religion

قال تولستوي : « الدين هو القلب الذي يغذي المجتمع الانساني و كما انه لا قوام لحياة بلا قلب فلا قوام لمجتمع بلا دين ، فالدين اذاً يرتكز الى القلب والعاطفة التي مصدرها القلب لا تتغير . فنحن اليوم نشعر كما كان يشعر الاولون : في الحب والبغض في السرور والالم في الامل واليأس . اما العلم فيستند الى العقل . والتفكير الذي مصدره العقل يتبدل بتبدل الزمان والمكان وقد قال سليمان البستاني في مقدمة الالياذة : « العلم كل يوم في شأن يتقلب ويتغير وينحط ويرتقي . فما صلح منه في الامس لا يصلح في الغد ، وما كان منه في الامس صواباً ساطعاً اصبح بعده خطأ فادحاً »

للدين هدف واحد : هداية الانسان الى السعادة الحقيقية . فهو يرافقه من المهد الى اللحد . يرشده الى واجباته نحو الله ونحو نفسه ونحو الاخرين ويفرض عليه محبة اعدائه والاحسان الى المسيئين اليه والرأفة بالناس على السواء . وعلى المبادىء الدينية قامت الشرائع المدنية . وان تأييد الدول الديموقراطية للاديان اقرار منها بان المبادي الديموقراطية : العدل والحرية والمساواة ، هي مبادىء دينية .

لقد جرب العلم ان يحل القضايا الكبرى التي اشغلت الفكر البشري منذ القديم ، ولكنه حتى اليوم لم يحل واحدة منها فكيف يستطيع العلم ان يحتل مركز الدين ؟

ان من يدعي ان بأمكان العلم ان يحل محل الدين كمن يدعي ان الانسان يصبح سعيداً اذا عرف ما هو البعد بين الارض والشمس . أعني :

ان سعادة المرء لا تقوم بمعارفه العلمية بل بمحبته لاخوانه الناس . والمحبة هي ثمرة العاطفة الدينية لا المعارف العلمية.

واليكم علاقة الدين بالفلسفة التي يسمونها علم العلوم :

لقد دعا أفلاطون العلم الذي يبحث عن الكون فلسفة . وسمى أرسطو الفلسفة التي تبحث فيما فوق الطبيعة لاهوتاً .

الفلسفة تبتدئ بالانسان وتنتهي بالله . واللاهوت يبتدئ بالله وينتهي بالانسان . مصدر الفلسفة العقل . ومصدر الدين الله . الدين والفلسفة يترافقان الى حد معين ثم يفترقان . يترافقان في البحث عن الحقائق التي يدركها العقل مثل الايمان بوجود الله والنفس . ويفترقان عند البحث عن الحقائق التي لا يدركها العقل وهي اسرار الدين .

في عام سنة ١٩٣٣ نشر الاستاذ ضومط (١) مقالا في احدى المجلات (٢) العربية جاء فيه : « ان العلوم الطبيعية الحديثة قد هزت المعتقدات الدينية الاساسية من اساسها »

لنبحث هذا الزعم :

ان اساس المعتقدات الدينية هو الايمان بالعلة الاولى للكائنات .

---

(١) هو الاستاذ اميل جبر ضومط

(٢) هي مجلة « المجلة » التي اصدرها في بيروت الاستاذ انطون سعاده . اما المقال فعنوانه « العلوم الطبيعية والمعتقدات الاساسية » ، نشر في المجلة المذكورة عدد يونيو سنة ١٩٣٣ الجزء الرابع

والعلوم الطبيعية تبحث في كيفية ظهور الكائنات . ولكنها لا تتعرض للعلة الاولى المعتقدات الدينية الاساسية يفيض بها قلب الانسان الذي يتصور العلة الاولى للكائنات في عالم غير العالم الذي يراه . فمصدرها خفي غير مادي ودوائر العلوم الطبيعية لا تخرج عن حدود المادة . لم توجد الحياة منذ الازل على الارض بل ظهرت في زمن معين . فاما انها مولودة واما انها مخلوقة .

في هذا الموضوع نظريات علمية مختلفة سيطرت على العلوم الطبيعية ردحاً من الزمن ، ثم هوت . لان العلوم الطبيعية ذاتها اثبتت ان تولد الحي من الجماد مستحيل .

لقد حان لنا ان نعطي جواباً صريحاً على السؤال الذي يجول في خاطر كل منكم الان :

هل يناقض العلم الدين؟

الجواب : العلم والدين متفقان . ذلك لان العلم ينطبق على ماورد في الكتب المقدسة عن نشأة الطبيعة والانسان . واذا لاح لنا تناقض ما نوفقه اذا اعتبرنا الكتب المقدسة مجموعة تعاليم عقائدية واخلاقية اوحي بها في زمان ومكان معينين بتعابير واصطلاحات تتناسب مع عقلية الشعب الذي كتبت له ودرجة ثقافته .

وايضاحاً لذلك اقدم هذا المثل : اذا قلنا « طلعت الشمس » لا نكون عارضنا العلم القائل : ان الشمس ثابتة .

اخواني

مهما تقدم المرء في مضمار العلم لا يستطيع ان يخلق شيئاً جديداً بل يتعرف بأبحاثه وملاحظاته واختباراته الى القوى الكامنة في الطبيعة المخلوقة والآية المأثورة : « لا جديد تحت الشمس » تعبر الطف تعبير عن هذه الحقيقة الانسان اكتشف النار قبل علم الطبيعيات وابتكر اللغة قبلي علم البيان واخترع العلاجات قبل علم الطب .

وأب الفلاسفة سقراط انتهى في ابحاثه الى نتيجة واحدة وهي قوله : « اعرف شيئاً واحداً وهو اني لا اعرف شيئاً »

يزعم بعضهم ان الدين لم يؤد رسالته . أي لم يهد الانسانية الى السعادة الحقيقية . ان صح هذا فسببه عجز الناس عن العمل بوصايا الدين لانه يتطلب من المؤمن ان ينكر ذاته وان يضحي مصلحته في سبيل مصلحة الآخرين . وليست هذه بالامور الهينات .

وخلاصة القول :

لكي يتفهم المرء حقيقة المبادئ الدينية ويعمل بها يجب ان يرتفع بأفكاره وامياله عن المادة ويوفق بين عقله وقلبه ، يتخذ العلم والدين جناحين يطير بهما الى الحقيقة القصوى .....الى الله .

* * *

بولس الرسول في اثينا

اذيعت من راديو الشرق في ٩ اذار سنة ١٩٦١

*

نحن في فصل الربيع . السماء صافية والشمس تنير قبتها الزرقاء . والجبال حول اثينا لبست وشاحها الاخضر . والجنات الغناء اورقت اشجارها الباسقة وغنت على افنانها الاطيار . واشجار الفلفل المنتشرة على جنبات الطرق القويمة ازهرت واريجها يعطر الفضاء . وميدان الالعاب الارلمبية فتحت ابوابه والشبان المفتولوا السواعد يروضون فيه اجسادهم . والهياكل المزخرفة القائمة في ابرز الاماكن مزدحمة بالمتعبدين يؤدون فروض ديانتهم التي هي مزيج من خرافات تتعلق ببناء المدينة ومبادي، وطنية وقومية . واكمة الاكروبول برزت بهياكلها الفخمة وتماثيلها الفنية متحفاً يحمل ذكريات عصر مجيد هو عصر باريكليس وافلاطون وفيذون . واعضاء المجلس الاعلى على رابية « آريوس باغوس » يتداولون في شؤون المدينة الادارية والقضائية والسياسية والثقافية والدينية . وطلبة العلم يروحون ويجيئون في الرواق بانتظار اساتذتهم الذين يستأنفون عمل الاكاديميا القديمة التي امها امثال شيشرون وفرجيل واغريبا . والاساتذة والفلاسفة والعلماء والادباء والخطباء ومعلموا الرياضة البدنية يملأون السوق حتى انك تكاد لاترى غيرهم ولا

تسمع غير مجادلاتهم ومباحثاتهم .

« والاثيناثيون اجمعون والغرباء المستوطنون لا يتفرغون لشيء سوى ان يتكلموا او يسمعوا شيئاً جديداً » (اعمال ١٧ : ٢١) .

وهوذا الجديد : رجل غريب يتمشى في السوق . هو غريب بشكله وبمشيته وبلهجته وبنظراته . قصير القامة ، معتدل الجسم ، صغير الرأس اصلعه ، عريض الجبهة ، نافر العينين يعلوهما حاجبان عريضان كثيف اللحية عصبي المزاج .

ها هو يقف امام الهياكل والاصنام مذهوشاً من كثرتها . وهوذا الناس يجتمعون حوله ويتفرسون فيه . هو شرقي بشكله ، سوري بنشأته ، أرامي بلغته ، يهودي بقوميته ، روماني بتابعيته ، وليس عليه من اليونانية غير اللغة !

ها هو يطوف المدينة من اطرافها الى اطرافها وقد استلفت نظره منها امران : تدين سكانها الظاهر بكثرة هياكلها واصنامها ، وهيكل كتب فوق بابه « للاله المجهول » . فكأن الاثيناثيين خافوا ان يكون هناك اله لم يعرفوا اسمه عدا الآلهة العديدة التي شادوا لها الهياكل فشادوا لارضاء ذلك الاله المجهول هذا الهيكل .

وبينما كان بولس الرسول سائراً في الشارع المؤدي الى الاكروبول رأى في طريقه مسرحاً أثرياً فدخله واذا به في « تياترو ذيونسيوس » وبينما هو يدقق في أطلاله قرأ اسماء كهنة منقوشة على بعض مقاعده الرخامية فقال في

نفسه : هنا يجتمع التدين والفكر الحر . وكم من معتقدان التدين والفكر الحر لا يجتمعان .

وقضى بولس في اثينا اياماً قليلة دارساً سكانها وعاداتهم وديانتهم وارآءهم الفلسفية وثقافتهم واميالهم الاجتماعية والسياسية . وقابل بين أثينا التي يراها ابأم عينه ، واثينا التي طالع عنها في الادب اليوناني الذي تلقنه في مسقط رأسه طرسوس وفي موطن نشأته اورشليم على يد معلمه غمالائيل « واذ رأى المدينة مملوءة اصناما احتدمت روحه فيه » (اعمال ١٧ : ١٦) وثارت في نفسه الغيرة الشريفة المعهودة فيه وصمم ان يحطم هذه الاصنام بيدك سلطانها ويقيم « الصليب وملكوت الله » على انقاضها . انها لجرأة من رسول الامم ان يتخذ مثل هذا القرار في مدينة العلم الفلسفة والامجاد وهكذا مضى بولس في تنفيذ قراره « فتكلم في المجمع اليهودي وتكلم في السوق مع الذين كان يصادفهم شارحاً تعليمه الجديد عن يسوع والقيامة» ولم يكن السوق مركزاً تجارياً فحسب ، بل مركزاً للحركة الاجتماعية والحياة الدينية .

واخذ الشعب الاثيناني يتحدث عن هذا الزائر الغريب وعن تعليمه الجديد حتى وصلت اخباره الى اذان الفلاسفة « فتقدم منه بعض الرواقيين والابيكوريين وناحشوه » . والابيكوريون كانوا يجربون ان يقضوا على الفكرة الدينية معتبرين اياها نتيجة جهل النواميس الطبيعية . ويفسرون كل شيء ميكانيكياً وطبيعياً . ويرفضون الاعتقاد بالخالق ويهزأون من الايمان بعناية الله ويدعونه خرافة . اما الرواقيون فمع ان كانوا يخلطون

بين الخالق والمخلوق كانت نظريتهم الفلسفية في جوهر الله قريبة من التعاليم الدينية .

ولم يفهم الابيكوريون تعليم بولس وقد عبروا عن استغرابهم اياه بقولهم : « ترى ماذا يريد ان يقول هذا المهذار » وهولاء معروفون بميلهم للهزل والمجون كما وصفهم التاريخي الشهير « بلوتارخوس »

اما الرواقيون و الجمهور فظنوا ان « يسوع » و « القيامة » آلهان جديدان جاء هذا الشرقي يبشر بهما اذ قالوا : « يظهر انه ينادي بالهة غريبة » .

مع كل ذلك كان بولس مطمئناً هذه المرة اكثر من كل مرة . لان حرية الفكر التي لمسها في الشعب الاثيناثي فسحت له المجال ليعرب عن افكاره بمل، الحرية الصراحة دون وجل . بينما كان تعليمه في المدن التي زارها سابقاً يثير اليهود والوثنيين ضده

وفي آخر يوم من ايام اقامته في أثينا بكر الى السوق فرأى الابيكوريين والرواقيين واعضاء المجلس الاعلى و كثيرين من غيرهم من العلماء والعامة بانتظاره . و كأنهم ارادوا ان يسمعوا تحليلا لتعليمه وأن يعرفوا بصورة اوضح حقيقة الدين الذي جاء يبشر به ويدعو اليه فكلفوه أن يرافقهم الى مكان اجتماع المجلس الاعلى « آريوس باغوس » قائلين له : « هل يمكننا ان نعرف ما هو هذا التعليم الجديد الذي تتكلم به لانك تأتي لى مسامعنا بأمور غريبة فنريد ان نعلم ما عسى ان تكون هذه » . وهذا ما كان بولس يستعد له ويطمح اليه .

هوذا اعضاء المجلس الاعلى يأخذون مراكزهم على رابية « آريوس باغوس »

وهوذا الابيكوريون والرواقيون وجمهور الشعب يزدحمون حول ذلك المكان المقدس . وهوذا الرسول بولس يقف في وسط المجمع ويلقي خطابه التاريخي .

هي المرة الاولى التي فيها يكرز ببشارة الانجيل امام الفلاسفة . وهو اول تماس يقع بين العالم الوثني والمسيحية التي كانت لحد الان منحصرة ضمن دائرة محدودة من الارض ومنتشرة بين الامة اليهودية فقط فأطلق بولس عقالها وارسلها ديانة لجميع الامم في كل انحاء العالم . وهكذا نرى ان راية « اريوس باغوس » أصبحت منبراً اعلى من فوقه رسول الامم اول عظة من مواعظ الديانة المسيحية للعالم الوثني في الشرق والغرب .

واليكم تعريب الخطاب :

« ايها الرجال الاثيناويون . اراكم من كل وجه كانكم متدينون كثيراً . لانني بينما كنت اجتاز وانظر الى معبوداتكم وجدت مذبحاً مكتوباً عليه « الاله المجهول » فالذي تتقونه وانتم تجهلونه هذا انا انادي لكم به الاله الذي خلق العالم وكل ما فيه . هذا اذ هو رب السماء والارض لايسكن في هياكل مصنوعة بالايدي ولا يخدم بايادي الناس كانه محتاج الى شيء اذ هو يعطي الجميع حياة ونفساً وكل شيء . وصنع من دم واحد كل امة من الناس يسكنون على وجه الارض . وحتم بالاوقات المعينة وبحدود مسكنهم كي يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه مع انه عن كل واحد منا ليس بعيداً لاننا به نحيا ونتحرك ونوجد كما قال بعض شعرائكم لاننا ايضاً ذريته . فاذا نحن ذرية الله لا ينبغي ان نظن ان اللاهوت شبيه بذهب او فضة او حجر نقش صناعة واختراع انسان . فالله الان يأمر جميع الناس في كل

مكان ان يتوبوا متغاضياً عن ازمنة الجهل لانه عين يوماً هو مزمع فيه ان يدين المسكونة بالعدل ، برجل قد اختاره مقدماً للجميع ايماناً اذا اقامه من الاموات » .

(انتهى خطاب الرسول بولس)

لا شك في ان بيان الرسول بولس قد سحر البابكم وبلاغته قد اثارت فيكم الحماس وسمو افكاره رفعكم الى جو اعلى . لذا اخاف ان انقص من حماسكم واهبط بكم من العلو الذي ارتفعتم اليه اذا حللت او فسرت او شرحت هذا الخطاب . انما لابد لي من توجيه افكاركم الى النقاط الاتية :

ان فيلسوف النصرانية افتتح خطابه بالثناء على تدين الاثينائيين فاكتسب اصغاءهم ثم لفت انظارهم بكل لباقة وحذاقة الى الاله المجهول الذي شادوا له هيكلاً خاصاً قائلاً : انه جاء ليعرفهم الى الاله الذي يعبدونه وهم يجهلونه . وان هذا الاله لا يمكن ان يكون الا الاله الحقيقي المعلن عنه في العهد القديم الموجود في كل مكان والخالق كل شيء والمعتني بكل ما خلق . وبهذا الوصف للاله الحقيقي قد هاجم الخطيب فلسفة الابيكوريين الذين كانوا ينكرون العناية الالهية وفلسفة الرواقيين الذين كانوا يخلطون بين الخالق والمخلوق .

ثم قال : ان الله خلق الناس من اب واحد وحدد لكل امة عمرها وحدود بلادها . وعين لكل انسان غاية من حياته وهي ان يطلب الله .

والله ليس بعيداً عنا لاننا به نحيا ونتحرك ومنه نستمد كياننا . فكأنه قال : ان البرهان على وجود الله هي اعمال الله فينا . وبما اننا ذرية الله لا يليق بنا ان نعتقد ان الله يشبه التماثيل المصنوعة من ذهب او فضة او حجر وهذه سهام سددها الى صميم الديانة الوثنية (اي عبادة الاصنام) فهشمها تهشيماً . وعبادة الاصنام هو المحور الذي يدور عليه الخطاب . واخيراً طمأن الوثنيين قائلاً : ان الله يتغاضى عن سني الجهل ويدعو جميع الناس على اختلاف اوطانهم ان يتوبوا لانه سوف يدين المسكونة بالعدل بواسطة السيد المسيح الذي اختاره لهذه الغاية . واعطانا برهانا على ذلك حادثة قيامته من الاموات

وهنا توقف الخطيب فجأة عن الكلام وتعكر جو المكان الذي كان صافياً حتى الان واختلف السامعون فيما بينهم عند سماع كلمة (القيامة من الاموات) فالبعض صاروا يهزأون وهؤلاء هم الابيكوريون . وآخرون قالوا : سنسمع منك ايضاً عن هذا الموضوع وهؤلاء هم الرواقيون .

« وهكذا خرج بولس من وسطهم ولكن اناسا لحقوا به وآمنوا منهم ديونيسيوس من اعضاء المجلس الاعلى وامرأة اسمها دامرس وآخرون معهما »

(اعمال ١٧ : ٣٣ — ٣٤)

لم يفت الفلاسفة ما جاء في كلام رسول الامم من فلسفة عميقة صورت الديانة المسيحية ديانة طبيعية ينتهي اليها الانسان مسترشدا بقلبه وعواطفه ولم يكن تعليم بولس عن وحدانية الله وعن تسلسل الناس من اصل واحد مناقضاً للفلسفة اليونانية ولكن آراءه في ما فوق الطبيعة كان من العسير على الوثنيين فهمها . اما الخطاب فهو أول تجربة للتوفيق بين المسيحية والفلسفة

ولترجمة الافكار اليهودية والمسيحية الى اللغة اليونانية .

وهو كذلك أول نموذج للدفاع عن العقائد المسيحية نسج على منواله آباء الكنيسة فيما بعد بدفاعهم عن الايمان القويم ضد العلم والفلسفة .

ويمكننا القول : ان مبادي، التوراة ومبادي، الفلسفة قد تصافحا على راية « آريوس باغوس »

واخيراً دار الزمن دورته وانتصر بولس على الفلاسفة المستهزئين والمستغربين . فتحطمت تلك الاصنام ودالت دولتها . وتحولت تلك الهياكل الوثنية الى كنائس مسيحية ترن في ارجائها اقوال بولس المسجدية وتتلى على المحتشدين فيها رسائله الالهية .

هذه صورة مصغرة عن مدينة اثينا يوم امها بولس الرسول سنة ٥٤ مسيحية . وهذا تحليل موجز لخطابه في « آريوس باغوس » واننا كشرقيين لتأخذنا هزة الفخر والاعجاب برجل من ابنا، بلادنا كالرسول بولس فتح الغرب فتحاً روحيا وادى رسالته العلوية على وجهها الاكمل .

المديح الذي لا يجلس فيه

اذيعت من راديو الشرق في ٢٣ أذار سنة ١٩٦١

*

١

مياه البحر الابيض تتهامس مع مياه البحر الاسود عند ملتقى القارتين آسيا واوروبا . والبوسفور يرغي ويزبد وامواجه المتلاطمة تقف سداً طبيعياً منيعاً وبزنطية فوق لسان خليج القرن تتمخض بالتقاليد الفارسيه واليونانية فتلد مدينة جديدة : اسوارها الحصينة رسم حدودها الملك . وقصورها البيضاء اقتطعت حجارتها من رخام مرمراً . وشوارعها المرصوفة احيطت بالاروقة العالية والاعمدة المصقولة تزيدها شارات المسيحية الرمزية المنقوشه رونقاً وجمالاً وساحاتها الواسعة مزدانة بأمجاد المسيحية : هنا صور مذهبة للملك قسطنطين ولامه هيلانه وللراعي الصالح وللنبي دانيال . وهناك علم مرصع وفي زاوية العلم رسم الصليب وبينهما صليب ذهبي يحمل هذا العنوان : « قدوس واحد رب واحد يسوع المسيح لمجد الله الآب » . وتماثيلها الفنية نقلت اليها من آسيا ومصر واليونان ورومية . وكنائسها الاربع عشرة حانية رأسها امام « اجيا سوفيا » المشادة على اسم « الكلمة » الذي صار جسداً بيسوع . والبلاط الملكي يمتد من شاطىء البحر الى قلب المدينة . على بابه رسم الملك قسطنطين يصلي . وفي قاعته الكبرى صليب مرصع بالحجارة

الكريمة فوق قاعدة ذهبية . والاعلام الرومانية ترفرف فوق البلاط والعلمان وميدان السباق وثكنات الجيش . فكأن روما نقلت من ضفة تيبر الى ضفة البوسفور .

هوذا الجنود الرومانيين على جانبي الشارع المؤدي الى الكنيسة العظمى رافعين حرابهم ، والموسيقى تعزف بانغامها الرومانية الشجية . والنساء على الشرفات ينثرن على الامبراطور الروماني الزهور والعطور . وهوذا الملك قد اطل بموكبه محاطاً بمجالي لابهة والعظمة والجلال : على رأسه تاج مرصع بالحجارة الكريمة . وعلى منكبيه الطيلسان(١) وفي يده الصولجان . ها هو يدخل الكنيسة ويعتلي العرش فتلمع شخصيته البارزة : جباه الغرب الذي ولد فيه جمالا جسدياً : قامة طويلة وجسما ممتلئاً ووجهاً بيضوياً وعينين جذابتين وأنفا رومانيا . ونفحه الشرق الذي ترعرع فيه جمالا روحياً : خلقاً كريما حببه الى جنوده وقواده وذكاء مفرطا صقلته المثل العليا التي تنشقها من فضاء البحر المتوسط الذي نشأت على شواطئه اقدم المدنيات .

هوذا الكنيسة العظمى تحتفل اليوم بتدشين المدينة الجديدة التي بناها الملك الروماني في بزنطية واتخذها عاصمة جديدة للامبراطورية وكرسها للعذراء التي اتخذها شفيعة وحامية لها .

وقد كان لهذا اليوم (١١ ايار سنة ٣٣٠) اثر بعيد في تاريخ الشرق لان روما مهد التقاليد ومدينة الآلهة تخضع اليوم لمدينة العذراء . ومنذ اليوم

(١ وشاح من حرير احمر مطرز بالازهار يجر على الارض أذياله .

ان تدعى هذه المدينة بزنطية لان الملك سماها « روما الجديدة » وقد بذل جهوداً جبارة ليطابق الاسم المسمى . ودعاها رجال الدولة باسم بانيها « القسطنطينية » أما الشعب فاطلق عليها اسم « المدينة » ولا تزال تعرف بهذا الاسم الى اليوم اي « استانبول » . ودامت الاحتفالات بتدشين العاصمة الجديدة مدة اربعين يوما .

وفي احد ايام العيد حمل افراد من الجند صورة الملك قسطنطين وسادوا بها تتقدمهم الشموع الى ميدان السباق ووضعوها على منصة عالية واخذ الشعب يسجد لها . لم يكن سجود الشعب للصورة بل للملك . وليس لشخصه بل للاعمال الباهرة التي اسداها للمسيحية . فبعد ان كان المسيحيون على عهد القياصرة السابقين يعتبرون خونة ومجرمين ، شرف قسطنطين قدرهم ورفعهم الى اعلى الوظائف واعلن المسيحية ديانة الدولة الرسمية فتهافت الوثنيون على اعتناقها « والناس على دين ملوكهم » . وبعد ان كانوا يؤدون فروض عبادتهم في الدياميس (١) شاد لهم الكنائس الفخمة .

ان بولس الرسول نشر الديانة المسيحية بقوة ايمانه ولسانه . أما الملك قسطنطين فنشرها بقوة نفوذه وسلطانه . لذلك رفعته الكنيسة الى درجة الرسل القديسين . واذا كان قسطنطين وجد في الدين المسيحي القوة الهائلة التي اعطت حياة جديدة لمملكته ، فان المسيحية وجدت في شخصه النصير الاكبر .

(٢)

مرت السنون مر السحاب وانقسمت الامبراطورية الرومانية الى قسمين

---

(١) الدراديب

غربي يتعلق برومية . وشرقي يتعلق بالقسطنطينية (٣٩٥) . وبلغت مدينة العذراء أوج مجدها وعزها . ولمع فيها ملوك عظماء ورؤساء كهنة حكماء الى ان جاء عهد الملك هرقل (٦١٠ — ٦٤٦) . وكان هذا الملك يجمع في شخصه بين الغيرة الدينية والحنكة الحربية ويؤمن بقوة العذراء ويحمل ايقونتها معه في الحروب وكان متفقاً مع البطريرك حتى انه انابه عنه اثناء غيابه وقد جاهد هرقل ست سنوات حتى كسر شوكة الفرس . وبينما هو في ساحة الحرب هجم الافاريون حلفاء الفرس على المدينة وحاصروها من جهتي البحر والبر فاستولى على الشعب خوف عظيم .

عندئذ اسرع البطريرك (سرجوس) بالاتفاق مع القائد (فونوس) لاتخاذ التدابير وانقاذ المدينة . اما القائد فجمع القوة الباقية من الجيش وسلح الحرس والمدنيين . واما البطريرك فجمع الاكليروس والشعب في كنيسة «اجيا صوفيا» حيث انشدوا المديح للعذراء وطلبوا اليها ان تنقذ مدينتها من الاعداء . ثم خطب فيهم البطريرك ودعاهم للاتحاد تحت لواء العذراء شفيعة المدينة فاثار في قلوبهم المضطربة الشجاعة والحماس . وعلى الاثر خرجوا حاملين خشبة الصليب وايقونات السيد المسيح ووالدته العذراء والاواني الكنسية المقدسة وطافوا المدينة داخل اسوارها ، بينما كان الجيش يدافع عنها بقوة السلاح . فوصلت اصوات النساء والاطفال وصلوات الاكليروس وتضرعات الشعب الى عنان السماء . ودب الحماس في الجيش واندفع على قلة عدده يرد هجمات العدو بقوة فائقة . واذ راى الاعداء اتحاد الشعب القسطنطيني واستعداده للذود عن مدينته با رواح خلافاً لما كانوا

يعتقدون أدركوا ان شعباً متضامناً هذا التضامن لا يغلب فتركوا المدينة وانصرفوا

وبعد رفع الحصار وزوال الخطر اجتمع الاكليروس والشعب في الكنيسة المقامة على اسم العذراء في محلة « فلاخارنيس » ورتلوا المديح للعذراء، وهم وقوف وأضافوا اليه النشيد المعروف بالقنداق « اني انا مدينتك يا والدة الاله » .

في هذا النشيد تعرب المدينة عن شكرها للعذراء التي انقذتها من المحنة ثم تلتمس ان تقيها من كل الاخطار .

وكان ذلك يوم الجمعة من الاسبوع الخامس من الصوم الاربعيني المقدس . وقد سمي « المديح الذي لا يجلس فيه » لانهم انشدوه وهم وقوف . وهو المعروف عندنا بخدمة « المدائح » .

اما موضوع هذه المدائح فهو مزدوج : بشارة العذراء او تجسد المخلص .

وبعد ٣٦ سنة حاصر الهاجريون المدينة ودافع عنها شعبها بمساعدة نصيرتها العذراء .

وعلى عهد الملك لاون (٨٦٠) كرر الهاجريون هجومهم وهذه المرة انقذت العذراء مدينتها ايضاً .

ولكن القسطنطينيين كلما انصرف الاعداء وزال الخطر عنهم انصرفوا الى لهوهم وزهوهم غير ذاكرين الله في حركاتهم وسكناتهم (اللهم الا في افراحهم) الى ان تخلى الله عنهم وسقطت مدينتهم في يد محمد الفاتح سنة ١٤٥٣ .

اجل . دالت الدولة البزنطية ولكن اثار مدنيتها ما زالت بارزة في

كنائسنا وطقوسنا وقوانيننا الكنسية وفنوننا الجميلة . فكأننا نعيش في جو بزنطي ونتنشق هواء بزنطيا

ايها المواطنون الكرام :

لقد اخذنا عن البزنطيين « المديح الذي لا يجلس فيه » فلنأخذ عنهم حبهم لمدينتهم وتفانيهم في الدفاع عنها . واذا كانت القسطنطينية دعيت مدينة العذراء لانها وضعت تحت حمايتها يوم تدشينها فان وطننا وطن العذراء لانها فيه ولدت ونشأت وعاشت وفي هذه الايام المماثلة لتلك الايام التي نظم فيها « المديح الذي لا يجلس فيه » يجدر بنا ان ننشد بلسان وطننا : « اني انا وطنك يا عذراء ارفع لك علم الاعجاب يا مرشدة حكيمة وبما ان لك شفاعة عند الله انقذيني من الاخطار المداهمة حتى اهتف اليك افرحي يا عروسة لا عروس لها »

اسباب الكفر

اذيعت من راديو الشرق في ٢٨ ايلول سنة ١٩٦١

*

الكفر ضد الايمان. وقد اجاد جامع المعجم بقوله : « الكفر (بالضم) من الكفر (بالفتح) لانه ستر الحق » . فالدين هو الحق وما تتضمن هذه الكلمة من مبادىء سامية واخلاق عالية واعمال صالحة . والايمان هو عاطفة فطرية في الانسان بها يشعر بوجود الله في عالمي الروح و المادة . وقد عرفه الرسول بولس بقوله : « هو الايقان بامور لا ترى » (عبرانيين ١١ : ١) . الايمان هو الصراط المستقيم الذي نهجه الانسان منذ نشأته مسترشداً بقلبه وفطرته . اما الكفر فهو انحراف عن الصراط وضلال عن الهدى . الايمان والكفر نقيضان وما بينهما الشك .

قال احد الفلاسفة : « الشك هو الرواق الموصل الى هيكل الحكمة والرجل الحكيم لا ينكر صحة قضية ما لمجرد عدم ادركه اياها وانما يضعها تحت البحث ويتحرى في دروسه الحجة والبرهان .

نعم ان الاستسلام لملاذ الدنيا عملاً بفلسفة الابيكوريين القائلة « لنأكل ونشرب فأننا غداً نموت » يسهل للكفر الطريق الى عقول الناس . ووجود

عدد من الكفار في الدنيا يهون الكفر على كثيرين . والغموض في شرح العقائد الدينية يتخذ حجة لدى الشاكين . ولكن هذه كلها ليست اسباباً اساسية للكفر . لان معالجتها لا تستلزم كثيراً من العناء . فالخاطيء يحمل على التوبة بالوعظ والارشاد . والمتشبه بالكفرة ينصح ليقتدي بالمؤمنين ، وعدد هؤلاء لا يقل عن اولئك . والشاك يقتنع بالحجة والبرهان . وانما هناك اسباب اخرى اساسية تستدعي مداواتها الكثير من الجهد والاهتمام . واليكم بعضها :

السبب الاول — جهل الحقائق الدينية على وجهها الصحيح :

ان كثيرين من الشاكين والكافرين نفروا من الدين لانهم يجهلون حقائقه او يعتقدون انه مظاهر خارجية فقط . فلو اوضحنا لهؤلاء كنه الدين والغاية من الطقوس والترتيبات لاصبحوا من اشد الناس تديناً .

وبعض المدارس تملأ ادمغة تلامذتها بالنظريات العلمية المتناقضة وتهمل تلقينهم العلوم الدينية فينشأوا كفاراً . على ان بعضهم يكتم كفره ويقطع كل صلة مع الدين . والبعض الآخر يعلن كفره ويحمل على المعتقدات الدينية حملة شعواء .

والسبب الثاني — العلم الناقص :

ان من يطلب العلم في المدارس الابتدائية فقط تبهر بصره الضعيف انوار العلوم الحديثة فيتوهم ان كل ما لا يسعه عقله الصغير هو غير صحيح حتى انه اذا حفظ العلوم الطبيعية خال نفسه قد اكتشف سر التكوين .

هذا هو العلم الناقص الذي يبعد عن الله . اما العلم الكامل فأنه يقرب الى الله . لان من يتوغل في درس طبيعة الكائنات يقف عند حد يدرك فيه ان هذه المخلوقات لم توجد صدفة .

اما السبب الثالث — فهو عدم التناسب بين حياة الانسان الصالح المملوءة بالمتاعب والاحزان وحياة الشرير المشبعة بالخيرات والمسرات . وقد اتخذ الفيلسوف « كانت » عدم التناسب هذا برهاناً على وجود الله فقال : « ان العدل يقضي بأن يعيش المرء الصالح سعيداً والشرير تاعساً وبما ان هذا الامر لا يتحقق في هذه الحياة فالمنطق يقضي بأن توجد حياة اخرى يتم فيها هذا التناسب وقاض عادل يحكم بذلك وهو الله » .

والسبب الرابع والاخير — عدم تطبيق المؤمنين اعمالهم على وصايا الدين :

ان هذه الظاهرة تدخل الكفر على عقول البعض فيبررون انفسهم بادعائهم ان المؤمنين لو كانوا على حق في ايمانهم لما خالفوا وصايا دينهم بأعمالهم !

فتجاه هذه الحالة يجب علينا نحن المؤمنين ان نطبق اعمالنا على وصايا الله لئلا يقال « اننا نحمل الناس احمالا ثقيلة ولا نريد ان نحركها باصابعنا (متى ٢٣ : ٤) وان ننشر الحقائق الدينية على وجهها الصحيح مميزين بين العرض منها والجوهر . وان نفهم الاخرين ان الدين ليس طقوساً وترتيبات فحسب ، بل هو اخلاق عالية ومبادىء شريفة واعمال صالحة لا غنى للمرء عنها حتى يصح ان يسمى انساناً .

الحق والواجب

اذيعت من راديو الشرق في ١٢ ت٢ سنة ١٩٦١
ونشرت في مجلة « الراعي الصالح »
عدد ١٥ نوفمبر سنة ١٩٦٢

*

تبحث العلوم الدينية في امرين : العقائد والاخلاق . ويبحث الاخلاق علمان : الفلسفة واللاهوت . اما الفلسفة فتعتبر الاخلاق صادرة عن الناموس الطبيعي . واما اللاهوت فيعتبرها صادرة عن الناموس الالهي . وبعبارة اخرى الاخلاق في نظر الفلسفة تنبعث من الضمير والمنطق . وفي نظر اللاهوت تنبعث من الوحي الالهي الذي يرشد المرء الى طريق الحق والواجب . وبما ان راحة الضمير التي هي اساس سعادة الانسان في هذه الحياة تتوقف على تمتعه بحقوقه وقيامه بواجباته ، فموضوع (الحق والواجب) يعد من اهم المواضيع التي يعالجها الكتاب والمحدثون .

الحق هو ما يخولنا فعله الناموس ، بل هو كل ما يجوز لنا ان نعمله او ان نطلب من الغير عمله بموجب ناموس ما .

الحق يصدر من طبيعة الانسان فتعينه الحاجة او الضرورة والعلاقات القائمة مع الغير ثم تقره الاحكام الاجتماعية والسياسية . بل هو مجموع

السنن التي سنها شعب ما لحفظ كيانه واستتباب السلام بين افراده والعادات التي اكتسبت صفة القوانين .

يختلف الحق عن الفضيلة في كونه يفرض على الناس فرضا . اما الفضيلة فتترك لارادتهم . ومن اللازم ان يقترن الحق بالفضيلة لتصلح الحياة الاجتماعية وحيث لا يجتمع الحق والفضيلة ، هناك الفوضى والخروج على النظم والعادات .

والحقوق اما طبيعية واما مكتسبة . فالاولى تنفحنا بها الطبيعة مثل حق الدفاع عن النفس . والثانية تنشأ عن الروابط التي نعقدها مع الغير وهذه اما معينة وهي ما تؤيدها الشرائع المدنية مثلا : اذا انتزع احد ثروتي مني فان المحاكم المدنية ترد حقي الي . واما غير معينة وهي ما تترك لحرية الارادة مثلا : يحق لي ان اطلب من جميع الناس الاستماع الى احاديثي ولكن لا أستطيع ان اجبر احداً على ذلك لان السلطة المدنية لا تجبر الناس الا على احترام الحقوق المعينة .

اما الواجب فهو ما يفرضه علينا الناموس . بل هو كل ما يجب علي فعله نحو نفسي ونحو غيري وفقاً لناموس ما . وكما ان الناموس يفرض علي واجبات نحو الآخرين هكذا يفرض على الآخرين واجبات مماثلة نحوي .

والواجبات بالنسبة الى من يقوم بها اما عامة او خاصة : فالعامة هي المفروضة على كل انسان مثل الوفاء بالعهود . والخاصة هي المفروضة على بعض الناس مثل واجبات العضو في جمعية ما . واما بالنسبة الى الغاية التي ترمي اليها فهي : اما واجبات عدالة او واجبات انسانية : الاولى تنهي عن الظلم ويجبر عليها القانون . والثانية تفرض الاحسان الى الغير وتترك

للضمير لان الاحسان اذا اجبرنا عليه لا يكون احساناً ! وبأتمام الواجبات المتروكة لحرية الارادة يتميز المرء الصالح لان الطالحين يقومون بواجباتهم خوفاً من العقوبات والسيد المسيح عندما وصف الدينونة العامة لم يقل ان الذين لم يظلموا الناس سيرثون الملك السماوي بل الذين اطعموا الجياع وسقوا العطاش وآووا الغرباء وكسوا العراة وعادوا المرضى والمسجونين (متى ٢٥ ٣١ — ٤٦) .

قلنا ان الحق ما يخولنا فعله الناموس . والواجب هو ما يفرضه علينا الناموس . فالحق هو الواجب اذا نظرنا اليه من جهة الشخص الاخر . مثلاً علي ان احترم ثروة الغير فللغير اذا الحق ان يطلب مني احترام ثروته .

الحق والواجب متماسكان فلا حق حيث لا واجب ولا واجب حيث لا حق . والحقوق التي لكل انسان فيما يتعلق بحياته وشرفه وثروته وحريته يقابلها واجباته نحو حياة الغير وشرفه وثروته وحريته . فاذا عرف الانسان واجباً ما ، استطاع ان يعرف الحق الذي يقابله .

ومن الضروري ان نميز بين الحقوق التي لنا والواجبات التي علينا وان نفضل واجباً على آخر ، لان الواجبات ليست في منزلة واحدة . وهذا امر ظاهر لا يحتاج الى ايضاح . وهل يوجد من لا يعرف ان اطعام جائع أهم من زيارة غني عائد من سفر ؟

وليس بالمستطاع تقدير أهمية الواجبات قبل الوصول اليها الان ذلك يتوقف على الغاية التي ترمي اليها وعلى اسبابها والعلاقات القائمة فيما بينها . اما اذا عرفنا الغاية والاسباب سهل علينا معرفة الاهم منها وتفضيله على غيره فالواجبات العامة مثلاً أهم من الخاصة . والاصلية اهم من الفرعية . والطبيعية

أهم من الوضعية .

وقد دفعت صعوبة تقدير أهمية الواجبات والتفضيل بينها بعض علماء الاخلاق الى تقرير نظرية تنازع الواجبات او تعارضها . اما انا فارى ان لا تنازع ولا تعارض بين الواجبات التي يوحي بها الناموس . لانه اذا تراكمت علينا واجبات كثيرة وتعذر القيام بها جميعا يجب ان نقدر اهميه كل واجب منها ونفضل الاهم منها على غيره .

واذا لم نوفق الى معرفة الاهم وحصل التنازع بين الواجبات يكون جهلنا السبب . وفي مثل هذه الحالة يقتضي الاصغاء الى صوت الضمير الحي فهو كفيل باخراجنا من المأزق الحرج . جاء في الانجيل المقدس ان « يسوع دخل المجمع يوم السبت واذا انسان يده يابسة تقدم اليه وطلب الشفاء . فسألوا يسوع قائلين : هل يحل الابراء في السبوت ؟ فقال لهم : اي انسان منكم يكون له خروف واحد فان سقط هذا في حفرة أفما يمسكه ويقيمه ؟ اذاً يحل فعل الخير في السبوت » (متى ١٢ : ٩)

الحق والواجب كفتا ميزان لا يستقيم العدل الا بحفظ التوازن بينهما . وعلى المرء ان يطالب بحقوقه كما عليه ان يقوم بواجباته . وانما هناك احوال يحسن فيها ان يضحي المرء بحقوقه فدى خير أعظم !

بماذا اشبه الحق والواجب ؟

اني اشبههما بسجل تجاري ذي صفحتين : صفحة (من) وصفحة (الى) فمن الناس من يكون مقدار المطلوب منه اكثر من مقدار المطلوب له وعلى

العكس . ولكن فلنعلم ان اللذة التي يشعر بها من يتمتع بكل حقوقه ولا يقوم بواجباته ليست اعظم من اللـذة التي يشعر بها من يقوم بكـل واجباته ولا يحصل على حقوقه .

وبما ان الحقوق والواجبات هي دينية ومدنية، وبما ان الحكومة تحافظ على الحقوق المعينة فقط ولا تجبر احداً على ممارسة الفضيلة ، فعلى رجال الدين ان يتعاونوا مع رجال الدولة على صيانة أخلاق الشعب ، لان الهـدف الذي يرمي اليه الفريقان واحد الا وهو اسعاد المجموع . وكما ان على رجال الدين والدولة ان يقوموا بواجباتهم نحو الشعب ، هكـذا على افراد الشعب ان يطيعوا القوانين الدينية والمدنية ليستقيم ميزان العدل ويعم الصلاح العالم .

* * *

اول كانون الثاني

اذيعت من راديو الشرق في ٤ ك ٢ سنة ٩٦٢
ونشر القسم الاول منها في مجلة (الارثوذكسية)
عدد كانون الثاني سنة ١٩٦٣

(١)

كانت السنة في روما القديمة تبتدي، في اول كانون الثاني الذي يسمونه (يناير) اكراماً للاله « ابانوس » . ومنذ القرن الثالث بعد المسيح اعتبر

من اعظم اعياد الدولة الرومانية : وكانوا يحتفلون به احتفالا مهيبا ويتزيون فيه بازياء غريبة ويلعبون العابا لمعرفة الحظ ويقدمون الذبائح . وقد حمل آباء الكنيسة على هذه المظاهر الخلاعية حملات شعواء وانتقدوها انتقادات مرة معتبرين اياها خروجا على الاداب والاخلاق المسيحية . وسموا اول يناير يوم الشيطان . يقول الذهبي الفم ما معناه : « ان الالعاب الشيطانية والرقص والسهر والتمثيل الهزلي وما شاكلها قد سبت مدينة انطاكية سبيا اشد من سبي الاعداء » والمجمع المسكوني الخامس — السادس امر المسيحيين بألا يشتركوا في احتفالات اول يناير . ولكن هذا كله لم يبطل تلك العادات لا سيما واول يناير كان عيدا زمنيا .

وفي القرن العاشر تحت تأثير العيد الوثني القديم ألبس بعض الاكليروس في فرنسا اول يناير ثوبا مسيحيا فاطلقوا عليه « عيد المبتدئين بالرهبنة » وكان فيه المبتدئون يرتدون ملابس غريبة وينتخبون انتخابا تمثيليا أسقفا يسيرون به بموكب حافل الى الكنيسة حيث كانوا يقراؤن فصلا من الكتاب المقدس ويروون بعض القصص وينشدون اناشيد علمانية .

وكان رجال الاكليروس الكبار يدخلون الكنائس في هذا العيد بملابس نسائية او بجلود الحيوانات ويظهرون بمظاهر مضحكة حتى ان كارلوس السابع سنة ١٥٤٥ اصدر امراً وضع به حدا لمثل هذه المهازل .

واخيراً نشأت في الغرب عادة ان يقف الواعظ على منبر الكنسة ويوجه دعاء خاصاً الى كل من الحاضرين بمناسبة السنة الجديدة . ومع ذلك لم تعتبر الكنيسة اول يناير ابتداء السنة . ففي جرمانيا كانت السنة تبتدي من

عيد البشارة (٢٥ آذار) وفي هولندا وفرنسا من عيد الفصح المقدس وفي الدولة البزنطية من اول شهر ايلول . ومنذ القرن السادس عشر فقط اعتبر اول يناير ابتداء السنة في فرنسا وجرمانيا اما في روسيا ففي القرن السابع عشر . وفي انجلترا فبعد سنة ١٧٥٠ . وحتى اليوم تبتدي السنة الكنسية عندنا في اول ايلول الذي يدعى ابتداء الانذيكتي اي ابتداء السنة الجديدة .

اما العادات التي لا يزال الناس يحافظون عليها في اول يناير فهي من بقايا العيد الوثني القديم كالالعاب لمعرفة الحظ التي ذكرها الخطيب الشهير ليفانيوس وتبادل الهدايا وكانت تقدم من ورق الغار ثم من المآكل الطيبة واخيراً من اوان فنية وصل الينا منها اوان منقوش عليها هذه العبارة « لتكن السنة الجديدة سعيدة عليك » . وهذه العادة اثارة غضب اباء الكنيسة فدعوها هدايا شيطانية . ومجمع اوكسير سنة ١٥٧٣ في القانون الاول من قوانينه حرم على المؤمنين تبادل الهدايا حتى لا ينفق المال جزافاً . ولم تبطل اوامر الكنيسة عادة ارتداء الثياب الهزلية حتى ان كاتب سيرة القديس ذاسيوس يقول : ان المدعوين مسيحيين يتبعون عادات اليونان في الاحتفال بعيد اول يناير فيبدلون شكلهم الانساني بشكل شيطاني مرتديين مرتدين جلود معزي وتناسوا انهم في سر المعمودية المقدس قد رفضوا الشيطان فعادوا يتجندون له باعمالهم المخجلة »

والى يومنا هذا في بلاد اليونان يظهرون بملابس سخرية في عيد اول يناير ومدته عندهم من الميلاد الى الغطاس ويطلقون عليه اسم « كالندا » اي اول يناير . وفيه يطوف الاولاد على البيوت وينشدون اناشيد خاصة . وفي اثينا (كما في بلادنا) يسهرون ليلة اول السنة حتى الساعة الثانية عشرة وعندها

يطفئون الانوار برهة ثم يشعلونها ويتصافحون مهنئين بعضهم بعضا بالعام الجديد. وفي هذه الليلة يضعون قطعة من النقود في قالب من الحلو ويقسمونه ومن تصيبه قطعة النقود يكون صاحب الحظ الكبير . وهذه العادة هي من عهد البزنطيين .

وتعيد الكنيسة في اول يناير لختانة السيد المسيح التي بها دعي اسمه « يسوع » بعد ولادته بثمانية ايام وذلك منذ القرن السابع وفي اليوم نفسه تقيم تذكار القديس باسيليوس الكبير اسقف قيصرية .

(٢)

لقد ودعتم عاماً واستقبلتم آخر فكيف قضيتم ليلة العام الجديد؟ البعض باللعب والسهر . والبعض بالرقص وغيرهم بشرب الخمر وآخرون بالنوم . انتم تعتقدون ان من يربح باللعب ليلة العام الجديد سيربح كل السنة ومن يخسر تلك الليلة سيخسر كل السنة . فكيف يربح او يخسر من لا يلعب ؟ اذاً انتم تعتقدون ان من يلعب ليلة العام الجديد سيلعب طيلة حياته وانا اعتقد ان كلا منكم سيقضي الليالى كلها كما قضى ليلة اول العام . فالذين لعبوا في تلك الليلة سيلعبون كل الليالي واذا كانوا لن يلعبوا بالورق فسيلعبون بوعودهم مع الناس . ومن سهروا تلك الليلة سيسهرون الليالي كلها واذا لم يكن سهراً جسدياً فسهراً روحياً اما على مصالح الناس ومصالحهم ولما على احاكة الدسائس وتدبير اساليب الاخذ بالثأر والانتقام . ومن سكروا تلك الليلة سيسكرون الليالي كلها واذا لم يكن بخمرة الكرمة فبخمرة الغرور ومحبة الذات . اما من نام تلك الليلة فسينام كل الليالي واذا لم

يكن طبيعيا فنوم الثقة والطمانينة .

ولماذا لايكون الامر كذلك ؟اليست ليلة العيد فرصة تظهر فيها نزعة كل منا ؟ ايلعب ليلة العيد من يتقن اللعب ؟ ايسهر من لم يعتد السهر ايرقص من لا يعرف الرقص ؟ ايشرب من لم يذق طعم الخمرة ؟

انا لا اقول ان البكاء اولى بنا في ليلة العام الجديد لانه انصرم عقد من عمرنا واقتربنا من القبر ، وانما اقول اني ارى اسبابا كثيرة للبكاء . .

ان التجار في آخر السنة يرصدون حساباتهم ليعرفوا ما لهم وما عليهم فجدير بالعاقل ان يتشبه بهم وان يراجع مذكراته ليعرف ما له وما عليه وان يتخذ اول العام يوم محاسبة ومحاكمة مع نفسه .

واني لاتصور عائلة المستقبل وقد ارتدى افرادها ثيابهم الوطنية الجديدة يجتمعون في ليلة العام الجديد حول مائدة ليس عليها غير المآكل الوطنية تزينها ازهار اقتطعت من بستان البيت وقد فتح رب العائلة سجلا تلا فيه علناً تاريخ العائلة وسيرة حياة كل عضو منها . ووجه الى كل عضو من الحاضرين امثال هذه الاسئلة : كيف كنا السنة الماضية ؟ هل تقدمنا ؟ ولماذا ؟ هل تأخرنا ولماذا ؟

بمثل هذا التفكير المفيد يجب ان تستقبل العام الجديد . لان للمستقبل علاقة بالماضي . وعلى كل منا ان يؤدي رسالته في الحياة . ولا يتوفر له ذلك الا اذا دقق في ماضيه وبنى على الاسس الصحيحة منه حاضره ومستقبله .

وما كلمة مدنية وتمدن الا نشوء الانسانية وارتقاؤها نحو حياة

سعيدة تستند الى رقي روحي وخلقي . وما السعادة الا ثمرة تفكير صحيح ومحاسبة الانسان لنفسه . وما السنوات الا محطات على الطريق التي تنهجها البشرية السائرة الى مثلها الاعلى .

*

باسيليوس الكبير

اذيعت من راديو الشرق
في ١١ ك ٢ سنة ١٩٦٢

قال زعيم الفلسفة الوضعية الفيلسوف الفرنسي « اوغيست كونت »
« ينبغي ان يؤلف تقويم بسير النوابغ من الناس الذين امتازوا بفضائلهم لتكون حياة كل منهم درسا يوميا للمطالعين » ومن اتيح له ان يتصفح سير النوابغ وان يعجب بارادتهم الحديدية وعزمهم وحزمهم وجرأتهم وما شابه ذلك من المزايا العالية ، يدرك اهمية اقتراح اوغيست كونت . وحتى اليوم لم نسمع بوجود هذا التقويم .

وكل منا يعلم ان في الانسان ميلاً فطريا لتقليد ما يرى وما يسمع وان هذا الميل يكون قويا في ايام الصبا .

فدرس الشخصيات البارزة يدفع بالناس عامة وبالشبان خاصة الى تقليدها

وتقليدها يرفع النفس الى المثل العليا التي عاش لاجلها اولئك الرجال العظام .

وعليه رأيت ان اعرض على مستمعي الكرام صوراً لبعض الشخصيات البارزه في الكنيسة مبتدئاً في الكلام عن باسيليوس الكبير . لعل في الاصغاء اليها وفي تفهمها عظة ودرساً .

ولد باسيليوس في قيصرية الكابدوك من اعمال آسيا الصغرى فأخذ عن والدته « آماليا » مبادي. الفضيلة التي رافقته طيلة حياته . وتلقن العلوم في قيصرية والاستانة واثينا . ففي قيصرية تعرف الى غريغوريوس النزينزي. ثم التقى به في اثينا حيث تمكنت بينهما اواصر الصداقة لان في صدري الاثنين كانت تجيش آمال كبار واحدة وكانا يتطلعان الى مثل عليا واحدة ويرميان الى اهداف شريفة واحدة، الا وهي ان يمتلكا ناصية العلوم اليونانية وان يستخدماها لنشر مبادي. الانجيل السامية . ولقد حصلا كل ما كان يدرس في مدينة الحكمة من العلوم وبرعا في ذلك حتى ان الوثنيين طلبوا اليهما ان يقيما في اثينا ليدرسا علم الخطابة ولكن شعورهما بالواجب المقدس نحو الكنيسه والوطن حال دون اجابة هذا الطلب .

وعندما عاد باسيليوس الى وطنه قام برحلة الى سوريا وفلسطين ومصر وتعرف عن كثب الى النساك الذين كانوا يمارسون عيشة تشبه حياة الفلاسفة الرواقيين القدما. والفلاسفة الافلاطونيين الحديثين المعاصرين لهم . ونظراً لوجه الشبه بين النساك والفلاسفة من هذه الجهة دعي النسك الفلسفة العليا . ثم زار موطن ابيه القديم « بونتوس » حيث كانت لعائلته املاك في ارض برية وحيث كانت أمه وشقيقته « ماكريني » ناسكتين . فقضى الى قربهما

مدة غير قصيرة منكبا (مع صديقه غريغوريوس) على درس اللاهوت الذي اكملا به ثقافتهما العالية . وكان علم اللاهوت عبارة عن درس الكتاب المقدس بالاستناد الى تفاسير الاباء الاقدمين . وقد احبا منها مؤلفات الاب الاسكندري « اوريجانس » حتى انهما جمعا من تفاسيره مجموعة خاصة .

وبعد ان اكتملت ثقافة باسيليوس بدأ جهاده في سبيل الكنيسة التي كرس نفسه لخدمتها . فسنة ٣٦٤ بناء على طلب الاسقف « آفسافيوس » سيم كاهناً في قيصرية . فذاع صيته كرجل علم وفضيلة . واقبل شعب قيصرية على الاستماع الى عظاته التي كانت حديث القوم في مجتمعاتهم . فحركت هذه الشهرة عوامل الحسد في قلب (افسافيوس »واضطر باسيليوس الى ان يغادر قيصرية ويعود الى بريته المحبوبة حيث استأنف حياة الزهد والمطالعة . ولكن الاسقف عاد فاستدعاه اليه وعندما رأى ان أتباع «آريوس» قويت شوكتهم وتمكنوا في بعض الابراشيات بمؤازرة الامبراطور من خلع الاساقفة الارثوذكس واقامة الاريوسيين في مراكزهم قلبى باسيليوس نداء الواجب نحو الكنيسة اذ رأى الخطر محدقا بها وساعد الاسقف في جهاده ضد الهراطقة مساعدة فعالة .

وعندما ارتقى السدة الاسقفية خلفاً لافسافيوس سنة ٣٧٠ واصل جهاده ضد الاريوسيين فأستطاع بالوعظ من على المنبر وبالمراسلة مع اساقفه آسيا الصغرى والشرق عامة ان يدحر الهراطقة وان يؤيد العقيدة الارثوذكية .

وقد جوب الامبراطور« اواليس »ان يستميل باسيليوس الى معتقد آريوس ولكنه لم ينجح نظراً لصلابته في عقيدته وثباته على مبداه . واليكم بعض

الحديث الذي دار بين باسيليوس ورسول الامبراطور « موذاستوس » : قال موذاستوس : لماذا لاتعتنق عقيدة الامبراطور ؟

اجاب باسيليوس : لاني لا اعبد مخلوقاً . موذاستوس : الا تخاف غضب الامبراطور وبطشه ؟

باسيليوس : ولم الخوف ؟

موذاستوس : ان الامبراطور يستطيع ان ينتزع منك ثروتك وان ينفيك وان يأمر بتعذيبك واخيراً ان يميتك .

باسيليوس : هددني بغير هذه فهذه لا تخيفني : ايخاف انتزاع الثروة من لا يملك غير ثياب رثة وبعض الكتب ؟ وهل يخشى النفي من يدرك ان الانسان غريب على الارض اينما وجد ؟ وهل يشعر بالعذاب جسم يندك لاول صدمة ؟ واخيراً ايهاب الموت من يرى فيه اتحاداً بالله ؟ اننا ودعاء مع كل الناس وخصوصاً مع الامبراطور اما فيما يتعلق بوصايا الله فلانخشى احداً .

فدهش موذاستوس مما سمع وقال : لم ار اسقفاً اجرأ منك في الدفاع عن عقيدته . اجاب باسيليوس : اذاً لم تر اسقفاً حقيقياً للكنيسة . . .

ولم تلمع فضيلة باسيليوس بدفاعه عن العقيدة القويمة فحسب بل في ادارة ابرشيته كراع صالح . فكان يعظ رعيته دائما وهو اول من استخدم قواعد الخطابة اليونانيه في الوعظ الكنسي . وقد حملت عظاته البليغة كثيرين من الوثنيين على اعتناق المسيحية وكثيرين من الهراطقة على الرجوع الى الحظيرة .

وهناك ناحية اخرى من نواحي حياته لا تقل اهمية عما تقدم ، هي اهتمامه

بالفقراء والاعمال الخيرية .

ان الدين المسيحي الذي يلخص بكلمة (المحبة) اوجب على المؤمنين عمل الخير وكان المسيحيون الاولون (على ما جاء في كتاب اعمال الرسل) يعيشون حياة مشتركة تقريباً ، فلم يكن احدهم يستأثر بمكله الخاص بل يضعه تحت تصرف المجموع . ولاجل هذه الغاية تشكل على عهد الرسل صندوق عام .

وفي القرون الاولى للمسيحية كان الشمامسة والشماسات يجمعون الاحسانات ويوزعونها على المحتاجين . وكانت الكنائس تشتري الاسرى وتحرر العبيد بأموالها . والاساقفة يبنون الملاجي . والمياتم والمستشفيات في دور الكنائس الكاتدرائية ويبيعون احياناً من اثاثهم الخاصة ومن اواني الكنيسة الثمينة لينفقوا على الفقراء . وكانت اعمال المسيحيين الخيرية تشمل الوثنيين واليهود .

ويذكر التاريخ ان في القرن الثالث عم وبا . في الاسكندرية فهرب الوثنيون من بيوتهم خوفاً من العدوى . اما المسيحيون فزجوا بأنفسهم في الخطر لمآساة المرضى من غير مذهبهم وكثيرون منهم ماتوا وهم يقومون بهذه المآساة .

ولم تخل مدينة من المؤسسات الخيرية المسيحية التي هي شهود على ان الدين المسيحي يوصي بالمحبة وعمل الخير نحو جميع الناس .

وكان للكنائس على عهد باسيلوس اوقاف خاصة يعيش من ايرادها

الاكليروس وينفق منها على الاملاك ويصرف الباقي في سبيل المشاريع الخيرية .

وفي هذا الميدان قد فاق باسيليوس اقرانه . فعندما الم بشعبه وبا. فتح باب مطرانيته على مصراعيه وآوى المئات من المحتاجين واطعمهم على مائدته وقد بنى في قيصرية ملجأ اشتهر باسمه « باسيلياذا » وكان فسيحاً حتى قيل عنه انه مدينة ضمن المدينة . وارصد له معظم ايرادات الابرشية .

وان انس لا انسى عفة باسيليوس التامة فكان يقضي ايامه بالصوم والتقشف والصلاة والمطالعة والتأليف . كان يعيش لله وللكنيسه وللعلم . كان ناسكاً من اشد النساك ، ورئيس كهنة من خيرة الرؤساء ، وعالماً من اعظم العلماء .

وقد وصل الينا من ثمار علمه مؤلفات عديدة تثبت انه كان متضلعاً من اداب اللغة اليونانية وخطيباً مفوهاً ومتعمقاً في تفسير الكتب المقدسة وفهم العقائد المسيحية . وفي دراساته يوفق بين الفلسفة اليونانية والتعاليم المسيحية وكثيرا ما يستشهد بالفلاسفة اليونانيين ويقتفي خطى الفيلسوف الافلاطوني الحديث « بلوتينوس »

ومن مؤلفاته : « نصائح للشبان » الذي وجهه الى افراد الشبيبة المسيحية الذين يدرسون في المدارس الوثنية . وفيه ينصح لهم ان يطالعوا الفلاسفة القدماء الذين اوردوا حكما جليلة وصوروا الفضيلة بصور جميلة ويذكر منهم كثيرين خاصة سقراط وافلاطون وآفوبيذس . ويرى ان درس

الفلاسفة ينير عقول الشبان ويشحذ قرائحهم لتفهم معاني الكتب المقدسة وعقائد الكنيسة وينمي فيهم قوة التعبير الصحيح عن افكارهم . انما يجب مطالعتهم بانتباه وحذر . وكما اننا نتجنب الشوك عندما نقطف الورد هكذا ينبغي ان نتجنب الفاسد عندما نطالع اي كاتب كان . ومن مطالعة هذا المؤلف يتضح لنا ان اباء الكنيسة القدماء كانوا يميلون الى الفلسفة اليونانية ويجربون ان يوجدوا توازناً بينها وبين المبادي المسيحية .

فالفلسفة اليونانية وخصوصاً الافلاطونية تشبه المسيحية لانها تعلم بوحدانية الله وعنايته وروحانيته وبخلود النفس وان الغاية من وجود الانسان تحقيق الفضيلة والتشبه بالله . وهكذا اعدت الوثنيين للمسيحية كما اعد الانبياء اليهود لها . لذلك يقول يوستينوس الفيلسوف الشهيد : « ان مبادي افلاطون ليست غريبة عن المسيحية » .

ومن مؤلفات باسيليوس كتاب عنوانه « ضد الهراطقة الاريوسيين » وتفسير الكتب المقدسة . وعظات . ونصائح للرهبان والنساك . و ٣٦٥ رسالة . وهذه الرسائل مدبجة بلغة سلسة جداً وموجهة الى اشخاص عديدين وهي تبحث عن مواضيع مختلفة . من يطالعها يقف على سيرة حياة القديس باسيليوس وعلى احوال الكنيسة في عهده . ومن مؤلفاته أيضا خدمة القداس المدعوة باسمه وهي مختصر خدمة يعقوب الرسول .

فلهذه الفضائل التي تحلى بها أطلق عليه « القديس باسيليوس الكبير » وبحق لقب بالكبير لانه كان كبيرا بشخصيته وبعلمه وباعماله وبآثاره .

غريغوريوس اللاهوتي

اذيعت من راديو الشرق في ١٨ ك ٢ سنة ١٩٦٢

* * *

اما غريغوريوس فقد ولد في قرية «أريانز» بقرب «نازيتز» في الكابدوك لذلك يعرف بالنزيتزي . وكان والده (واسمه ايضا غريغوريوس) ينتمي الى شيعة غريبة ، هي مزيج من المسيحية واليهودية والوثنية فيعبد اتباعها الاله الحقيقي ويكرمون النار ويحافظون على يوم السبت . وقد ارجعته زوجته «نونا» عن هذه الهرطقة الى المسيحية . فسيم اخيراً اسقفا على نازيتز . وكانت نونا تقية ومثقفة وقد ربت ولدها غريغوريوس تربية دينية ووجهت ميله منذ صباه الى السلك الاكليريكي . وفي احد الايام وضعت يده الصغيرة على الانجيل المقدس وطلبت الى الله ان يؤهله للوعظ والتبشير .

درس غريغوريوس العلوم في قيصرية ثم في مدرسة الاسكندرية اللاهوتية الشهيرة على اعظم اساتذة الفلسفة الافلاطونية الحديثة . واخيراً في اثينا التي كان يؤمها الطلبة من مختلف انحاء العالم . وهنا التقى بصديقه باسيليوس وقد اقام غريغوريوس في مدينة الحكمة عشر سنوات كاملة اتقن خلالها آداب اللغة اليونانية وعلم الخطابة والرياضيات والفلسفة والشعر . والم بعلم

والطبيعيات وغيرها . ولم تكن سعة اطلاعه وغزارة علمه لتقلل شيئاً من محبته للكنيسة بل كان كلما ازداد علما ازداد تديناً وتقى . فأيد بمثاله الحي الرأي القائل : ان العلم الكامل يقرب الى الله ولا يبعد عنه تعالى الا العلم الناقص .

وعندما عاد غريغوريوس من أثينا الى وطنه توجه الى البوند وانعكف مع صديقه باسيليوس على درس الكتاب المقدس ومؤلفات الاباء الاقدمين وعندما بلغه خبر اعتناق ابيه (اسقف نازيانز) لهرطقة آريوس اسرع اليه فاقنعه بالرجوع عن خطأه . واذ ذاك طلب اليه والده ورعية نازيانز ان يشرطن كاهنا فرفض هذا الطلب معتذرا بانه لم يصبح بعد اهلا لدرجة الكهنوت السامية .

وبينما كان يوما في الكنيسة ووالده يخدم القداس الالهي شرطنه كاهنا بالرغم من ارادته (٣٦١) فاستاء من هذه المفاجأة وهرب الى صديقه باسيليوس في البوند على انه عاد فاقتنع بان يرجع الى نازيانز ليعاون اباه في الجهاد ضد اعداء الايمان .

وعند رجوعه القى خطابه المعروف بعنوان (عن الهرب) برر فيه فراره من درجة الكهنوت . ومن مطالعة هذا الخطاب يتضح ان آباء الكنيسة القدماء كانوا يعتبرون الكاهن معلما للشعب بالمثال والاقوال ومرشداً له في سبيل الصلاح والكمال . وليس باستطاعة الكاهن ان يؤدي رسالته هذه الا اذا كان مثقفا . لانه كيف يعلم الشعب غير المتعلم ؟ وكيف ينير عقول الآخرين من كان عقله مظلما ؟ وكيف يطهر الغير من هو غير طاهر ؟ وكيف

يقود الخراف الى ربوع الفضيلة من يعيش في فيافي الرذيلة ؟ بل كيف يهدي رعيته الى الله من هو بعيد عن الله ؟

وعندما سيم باسيليوس مطرانا على قيصرية اقنع غريغوريوس ان يسام اسقفا على « ساسيم » ولكنه بعد ان تشرطن اسقفا وقبل ان يتسلم زمام ادارتها راى ان مطرانين يتنازعان عليها فانسحب الى البرية التي كان يحبها كثيراً لانها تفسح له مجال البحث والتنقيب . فغريغوريوس كان رجل فكر اكثر منه رجل ادارة . ومن هذه الجهة يختلف عن باسيليوس الذي كان عملياً واداريا .

وعندما تقدم والده في السن استدعاه من البرية ليكون اسقفا معاونا له (٣٧٢) فلبى الدعوة . وهنا ظهرت مواهبه العلمية والخطابية بعظاته التي امتازت بدقة التعبير وسهولته . فكان يقرب الابحاث اللاهوتية الغامضة الى افهام الشعب البسيط ويدعم العقائد المسيحية بالمنطق والفلسفة .

وبينما هو يمارس وظيفته الرعائية بنزاهة واخلاص فاجأته الايام بمصائب عائلية فادحة . ففقد اباه (سنة ٣٧٤) واخته ووالدته واخاه (الذي كان طبيب البلاط الملكي) وأخيرا فقد صديقه الحميم وعشير صباه باسيليوس (سنة ٣٧٩) فسحقت هذه الصدمات نفسه الحساسة حتى انه ابى ان يخلف والده على ابرشية نازيانز معتذرا بانه لا يستطيع ان يقيم في بلد يبعث في نفسه تذكارات اليمة . فذهب الى سلفكية وكان اسقفها صديقا له فاقام عنده مدة منهمكا بالفلسفة والادب لعله ينسى همومه .

و كانت هرطقة آريوس قد انتشرت انتشاراً فظيعاً و احتل اتباعه كنائس القسطنطنية ولم يبق بيد الارثوذكس غير كنيسة واحدة على اسم القديسة اناستاسيا و كانت هذه الكنيسة الصغيرة مهددة بنفوذ الاريوسيين وفي اشد الحاجة الى المناصرة . فتطلع شعبها الى من يتسلم دفتها لينقذها من الخطر المداهم فلم يجد غير غريغوريوس الذي كانت شهرته الواسعة قد وصلت الى العاصمة . فاستنجد به ليتولى هذه المهمة الصعبة .

ومع انه كان غير ميال الى ادارة شؤون الناس لم يرفض هذه الدعوة شاعرا بان الرسالة التي تجند لها توجب عليه ان يسرع الى انقاذ المشرفين على الخطر من اخوانه في العقيدة فجاء الى القسطنطينية وابتدأ فيها جهادا جديدا شاقا . وهنا القى عظاته الخمس عن لاهوت (الكلمة) التي بها شدد عزائم الارثوذكس وثبتهم في الايمان القويم ودحض حجج المعارضين وذلك ار كان هرطقتهم و كثيرا ما احاطوا بتلك الكنيسة الصغيرة وهددوه بالدخول اليها للفتك به و كثيرا ما تبعوه في الطريق قاذفين بحقه الشتائم .

كان غريغوريوس صغير الجسم وليس لمظهره الخارجي تأثير على الناظر اليه انما اذا ما اعتلى المنبر واطلق لسانه العنان سحر الالباب و اخذ بمجامع القلوب .

وقد زادت عظاته في العاصمة شهرته فأصبحت عالمية حتى ان كثيرين جاؤوا من اقاصي الارض الى القسطنطنية ليسمعوه ويعجبوا به . منهم الكاتب اللاتيني الشهير ايرونيموس الذي ابدى اعجابه به في مؤلفاته

خصيباً لتلك الايام التي كان فيها الشرق محط رحال العلم والادب والفلسفة واللاهوت ومطمح انظار ابناء الغرب .

ولقد اثمرت جهود غريغوريوس في القسطنطينية وساعد على ذلك موت الامبراطور « اوانيس » فتسنم العرش ثيوذوسيوس الاول الذي اعلن رغبته في ان يرى دستور الايمان الذي سنه مجمع نيقية سائداً في مملكته . واذ كان الناس على دين ملوكهم فقدرجع الهراطقة الى حظيرة الايمان القويم ونودي بغريغوريوس رئيس اساقفة القسطنطنية ودعي رؤساء الكنائس لعقد المجمع المسكوني الثاني في العاصمة (سنة ٣٨١) وانتخب غريغوريوس رئيساً للمجمع وكان هذا الفوز فوز الايمان القويم انتصاراً لغريغوريوس وامثاله من المجاهدين في سبيل العقيدة .

ولكن غرغوريوس ، كسائر المباقرة لم يولد ليموت على عرش مجده فقام عدد من اساقفة المجمع المنعقد برئاسته يقولون ان غريغوريوس وصل الى كرسي القسطنطينية عن غير طريق القانون الكنسي الذي يمنع انتقال الاسقف من ابرشية الى اخرى . وتجاهل هؤلاء ان القانون يضيف الى المادة المشار اليها هذا النص « الا اذا كان هناك سبب معقول » فغريغوريوس استدعي لانقاذ الكنيسة من الخطر . وهل من سبب معقول اكثر من هذا السبب ؟ ولكن قاتل الله الحسد فانه لا يعرف منطقا ولا حقا ولا عدلا .

ولم تكن نفس غريغوريوس الحساسة لتطيق سماع مثل هذه الاعتراضات لذلك استقال من رئاسة المجمع ومن كرسي القسطنطينية وودع الجمع بخطاب بليغ مؤثر وغادر العاصمة وعاد الى نازيانز .

وكان مركز اسقفيتها لايزال شاغرا فطلب اليه الشعب ان يقبل هذا المركز فاعتذر : وعندما انتخب اسقف جديد للابرشية تركها وجاء الى القرية التي ولد فيها . وهنا قضى آخر ايام حياته بين المطالعة والتأليف بعيدا عن الحاسدين والمعارضين والمشاغبين . الى ان توفاه الله سنة ٣٩٠ للمسيح .

وتشهد مؤلفاته التي وصلت الينا بأن حياته كانت حياة جهاد في سبيل الكنيسة والايمان القويم . وانه كان خطيباً كبيراً وشاعراً ملهما وكاتباً قديراً . فمؤلفاته هي خطب وقصائد ورسائل . اما الخطب وعددها ٤٥ فتمتاز بسلاسة العبارة وسمو الخيال . فكان نثره لسلاسته شعراً وشعره لسهولته نثرا .

واني لاذكر من خطبه تلك التي وجهها الى الامبراطور يوليانوس الذي اقنعه الفلاسفة الوثنيين بأن عظمة العصر اليوناني القديم اللامع بالحكمة والفن والادب لا تعود الا اذا عادت الديانة الوثنية . ولكن جهود يوليانوس ذهبت ادراج الرياح لان الناس بعد ان رفعتهم المسيحية الى قمة الايمان بالاله الواحد الحقيقي لم يعد من السهل انزالهم الى حضيض عبادة الاصنام المصنوعة بالايدي . فحمل غريغوريوس على هذا الضلال ذاكراً ان افلاطون وارسطو من قبله قد شنا الغارة الشعواء على العبادة الوثنية . ولا انسى من مؤلفات غريغوريوس الخالدة الكتاب المعنون (عن الذات) الذي سرد فيه تاريخ حياته وصور حالة الكنيسة والاكليروس في عهده باجمل الالوان . والرواية التمثيلية وعنوانها (المسيح يتالم) التي نسج فيها على منوال الكاتب

اليوناني القديم « آفريبيذس » . اما قصائده فتضعه في الرعيل الاول من الشعراء الكنسيين حتى ان كثيرين من ناظمي الاناشيد الكنسية قد استعاروا من شعره ابياتا بكاملها . واما رسائله وعددها ٢٤٢ فهي مرجع ثقة تاريخ الكنيسة في ذلك العهد

و كما تميز باسيليوس بحنكته الادارية تميز غريغوريوس بقدرته اللاهوتية لذلك لقب باللاهوتي .

هذه خطوط صغيرة لصورة القديس غريغوريوس اللاهوتي لعلها تساعدكم على تصور تلك الشخصية الفذة التي ستبقى اثار عبقريتها تتحدث عن عظمتها الى الابد .

يوحنا الذهبي الفم

اذيعت من راديو الشرق في ٢٢ شباط سنة ١٩٦٢

* *

واما يوحنافقد ولد في انطاكية سنة ٣٤٤ مسيحية وكان ابوه «ساكوندوس» جنديا شجاعاً وامه «انثوسا» تقية جداً وقد ترملت وهي في العشرين من عمرها فتفرغت لتربية ولدها تربية صالحة .

تلقن يوحنا اصول الخطابة والفلسفة على الاستاذ الشهير « ليفانيوس » وبدت موهبة الخطابة فيه منذ صباه حتى ان استاذه المذكور عندما سئل قبيل وفاته : من تسمي خلفاً لك في تدريس الخطابة قال : كنت اسمي يوحنا لو لم يكن قد استأثر به المسيحيون .

ولقد سار شوطاً بعيدا في ميدان السياسة الا ان الميل نحو الكنيسة الذي غرسته فيه والدته قد حوله الى الميدان الديني . فترك الخطابة السياسية فجأة وانسحب من المجتمع المدني مع صديق له يدعى باسيليوس وانكب الاثنان على درس المبادي الدينية وممارسة عيشة الرهبنة استعدادا للدخول في السلك الاكليريكي . وعندما توفي رئيس اساقفة انطاكية ملاتيوس وشغر المركز وترملت ابرشيات اخرى في سوريا طلبا ليسناالاساقفين وان كانا بعد لم يبلغا السن القانونية فاتفقا على ان يقبلا هذه الدرجة الشريفة معا .

ولكن بعد ان شرطن باسيليوس احجم يوحنا . وعند ذلك كتب مقالاته (عن الكهنوت) التي اعلى فيها شأن الكهنوت خاصة درجة الاسقفية واوضح المسؤولية الملقاة على عاتق الاسقف مبررا بذلك احجامه عن قبول الاسقفية .

وبعد وفاة امه دخل المدرسة اللاهوتية في انطاكية حيث تعمق في تفهم الكتب المقدسة والعقائد المسيحية على استاذين كبيرين هما « كارتاريوس » و « ذيوذورس » فتضلع من علم اللاهوت واصبح كفوا لخدمة الكنيسة . وسنة ٣٨٠ ترك المدرسة قبل ان يتم دراسته فيها اثر مرض اعتراه . وسنة ٣٨٤ شرطنه رئيس اساقفة انطاكية الجديد « فلافيانوس » كاهنا وعينه واعظ الكنيسة الكاتدرائية التي كانت على رحبها تغص بجمهور المستمعين الى عظاته .

وفي هذه الاثناء فرض الامبراطور تيوذوسيوس الاول ضرائب جديدة على المدينة فثار شعبها وحطم تماثيل الملك والعائلة المالكة المقامة في السوق بالقرب من الكنيسة وبعد ان هدأت سورة الغضب استولى على الجمهور رعب وخوف من انتقام الملك للاهانة التي لحقت به من جراء تحطيم تلك التماثيل . فتقرر ان يوجه وفد برئاسة المطران فلافيانوس الى العاصمة ليعتذر الى الملك عما صدر من الشعب عن طيش وجهل وليطلب اليه صفحا وعفوا .

فعهد رئيس الاساقفة الى الكاهن يوحنا بادارة شؤون الابرشية أثناء غيابه . فأفسح له المجال لاظهار مقدرته على ادارة امور الرعية وشؤون الكنيسة . وفي هذه المناسبة القى خطبه (عن التماثيل) التي بها أنب الشعب

لتطاوله على الرئاسة الزمنية العليا . . وبالوقت نفسه هدأ روعه وسكن اضطرابه فظهرت في هذه الخطب فصاحته وطلاقة لسانه وابتدأت منها شهرته كخطيب كبير .

سنة ٣٩٧ توفي رئيس اساقفة القسطنطنية « نكتاريوس » فاستدعى الامبراطور « اركاذيوس » الكاهن يوحنا الانطاكي الذي وصل صيته الى مسامعه دون ان يعلمه القصد من استدعائه اليه فلبى يوحنا الدعوة . وما كاد يصل الى القسطنطنية حتى امر الملك رئيس اساقفة الاسكندرية ثيوفيلوس الذي صودف وجوده آنئذ في العاصمة . فشرطن يوحنا اسقفاً وسلمه عصا رعاية الكرسي القسطنطيني وكان ثيوفيلوس يريد ان يرفع الى هذا الكرسي اكليريكيا آخر اسمه « اسيذوروس » ولكنه نزل على ارادة الامبراطور . والان وضع السراج على المنارة فأمتد نوره الى مسافة ابعد . ومن اجدر بعوش العاصمة من يوحنا ؟ ذلك الذي جمع في شخصه مواهب عديدة :

ثقافة تامة وفضيلة كاملة ومقدرة خطابية نادرة وحنكة ادارية فائقة وغيرة على الكنيسة خالصة . وقد حقق كرئيس اساقفة القسطنطنية المثل الاعلى للكهنوت الذي وصفه بجلس الشباب في مقالاته (عن الكهنوت) وعاش وهو راع لاغنى مدينة في ذلك العصر عيشة تقشف زائد وحياة راهب بسيط مرتدياً اوضع الثياب ومقتصراً على ابسط الاطعمة ومحافظاً على الاصوام والصلوات . وكان يتجنب الظهور بمظاهر العظمة والابهة ويخرج الى الشوارع دون ما حاشية خلافا لرؤساء الكهنة في عصره الذي كانوا يقطنون القصور

الشاهقة ويجلسون على الموائد الانيقة ويرتدون المطارف النفيسة ويخرجون بمجالي العظمة محمولين على عربات تجرها خيول مطهمة كالملوك والامراء . وكان يعتقد ان على رئيس الكهنة ان يكون مثال البساطة والتواضع والتقشف والقناعة . وان يكون صاحب نفوذ ومسموع الكلمة لدى الشعب والزعماء وذوي السلطان بفضيلته وقيمته الشخصية لا بمظاهره الخارجية الفارغة .

وفيما كان يعيش ببساطة وتقشف وقناعة وتقتير كان ينفق بسخاء على الفقراء والمعوزين ولقد انشأ مؤسسات خيرية من كل نوع في القسطنطينية حيث كان عدد الفقراء كبيراً كما هي الحال في كل مدينة كبيرة . وكان يعتبر الوعظ من اهم واجباته الرعائية فلم يدخل الكنيسة مرة دون ان ينثر على المؤمنين من درر اقواله . وكانت الجماهير تتدفق على الكنيسة للاستماع الى خطبه وعظاته . حتى انه اضطر ان ينزل عن العرش الذي كان الاساقفة يعظون من فوقه وان يعتلي المنبر ليصل صوته الى الجماهير الغفيرة المرهفة الاذان . وبتأثير عظاته البليغة رجع كثير من الهراطقه الى الايمان القويم واعتنق كثيرون من الوثنيين المسيحية : ولما كان الخطباء الكنسيون في ذلك العهد يتطلبون من الشعب التصفيق لهم في الكنيسة حمل يوحنا على هذه العادة حملة شعواء معتبراً التصفيق ضجيجاً وتعكيرا للجو ومظهراً غير لائق في بيت الله . على ان الشعب كان يزداد تصفيقا له حتى وفي اثناء هذا الانتقاد الموفق . ولم يتأخر عن محاربة الهرطقات التي ازعجت الكنيسة في عهده :

ولم يغفل عن توبيخ رجال الاكليروس الخاضعين لرئاسته العائشين بالبذخ والترف والتنعم . وعندما بلغه ان ثلاثة عشر اسقفاً حول افسس باعوا درجة الكهنوت بالمال جاء بذاته الى افسس فجرد هؤلاء الاساقفة الثلاثة عشر من درجة الكهنوت وسام غيرهم عوضاً عنهم .

ولم يحجم عن ارسال سهام نقده اللاذع الى الحكام والولاة والبلاط الملكي . وكانت الملكة آفذوكسيا وثلاث اراءل صديقات لها يمارسن حياة شاذة فيظهرن بوجوه مصبوغة بالالوان الكاذبة تنم عن شذوذهن الخلقي فأنتقد يوحنا في خطبه هذا الشذوذ . وحمل كذلك على احد المقربين من الملك واسمه آفتروبيوس الذي حاول ان ينزع من الكنائس حق حماية اللاجئين اليها هربا من وجه الحكومة وقد اضطر هذا الخصي يوما للالتجاء الى معبد « آجيا سوفيا » هرباً من وجه العدالة فوقف يوحنا موقفا شريفاً منه ودافع عنه .

وبهذه المناسبة القى خطبه الشهيرة (الى افتروبيوس) التي صور فيها بطلان العالم باروع الالوان . وندد بكبرياء آفتروبيوس وتحديه الكنيسة ونصح له ان يتوب عما فعل وطلب من المسيحيين ان يصفحوا عنه وان ينسوا سيئاته السابقة . وانقذ يوحنا حياة ثلاثة رجال من الموت اذ جاء بنفسه الى المعسكر وفاز بالاستحصال على امر العفو عنهم .

ان جرأة يوحنا وصراحته وتوبيخه للاساقفة والحكام والولاة والبلاط الملكي قد خلق له اعداء الداء فتألفت في العاصمة عصبة من هولاء الاعداء برئاسة الملكة آفذوكسيا ثم انضم الى هذه العصبة رئيس اساقفة الاسكندرية

ثيوفيلوس والاسقف السوري سافيريانوس الذي أنابه عنه اثناء تغيبه عن الكرسي في افسس ، فاستغل هذا الاسقف المرائي غياب يوحنا واخذ يغمز من قناته في عظاته واحاديثه ليقلل من تعلق الشعب برئيسه المحبوب .

وكان رجال هذه العصبة يترقبون الفرص للايقاع به . وقد وهبتهم الايام ما تمنوا . وذلك ان نزاعا قام في الاسكندرية بين انصار اوريجانس واخصامه بسبب نزعته الى التوفيق بين الفلسفة اليونانية والتعاليم المسيحية. فطرد مطران الاسكندرية (ثيوفيلوس) اربعة رهبان اوريجانيين الذين جاؤوا الى القسطنطينية والتجأوا الى رئيس اساقفتها فقبلهم لما هو عليه من رحابة صدر وليفهم الاسباب التي دعت لطردهم .

فأتهم ثيوفيلوس يوحنا انه اوريجاني واقنع ابيفانيوس رئيس اساقفة قبرص المعروف بكرهه لاوريجانوس ان يسافر الى القسطنطينية للوقوف على حقيقة هذا الامر . ولكن يوحنا ابى ان يجتمع بأبيفانيوس لئلا يحصى في عداد اعداء اوريجانس ذلك المعلم العظيم الذي يحترمه آباء الكنيسة العظماء نظراً لحكمته النادرة ويعتبرونه المرشد الاول لتفسير الكتب المقدسة وان كانت له آراء مغلوطة في بعض المواضيع التي لم يكن صدر بشأنها قرار ما من مجمع قانوني .

وقد واصل اعداء يوحنا مساعيهم ضده ولما قدم الرهبان الاربعة شكواهم على المطران ثيوفيلوس قدم هذا الى العاصمة فتفاهم مع الملكة آفذوكسيا ورجال العصبة الآخرين . وبعد ان كان مدعى عليه أصبح مدعيا على يوحنا فأتهمه بأمور تافهة كادعائه بانه يعيش بتقتير ويتناول طعامه وحده ويوبخ

الخطأة بعنف ولا يحترم البلاط الملكي .

فعقد مجمع في احد احياء القسطينية سنة ٤٠٣ فحكم على يوحنا بالابعاد وما ان بلغ الشعب خبر نفي راعيه المحبوب حتى هاج وماج وهجم على الجنود الذين كانوا يسوقونه فاختطفه من ايديهم وارجعه بالقوة الى عرشه . وعلى الاثر التأم مجمع فتبراء يوحنا من التهم المنسوبة اليه . واسرع البلاط الملكي ليبرر موقفه خوفاً من ثورة الشعب ملقياً المسؤلية فيما جرى على عواتق غيره

اما الملكة فظلت حاقدة على يوحنا . وقد حرك بواطن حقدها خطاب استهله بهذه الاية « وايضاً هيرو ديا تضطرب وايضاً تطلب رأس يوحنا على طبق » اذ قال لها الاعداء انه يقصدها بهذا الخطاب . فاقيمت عليه دعوى جديدة بأيماز من الملكة مفادها انه رجع الى الكرسي قبل ان يصدر المجمع قراره ببراءته . فصدر الامر بنفيه خفية الى بلاد ارمينيا دون ان يعلم احد من الشعب بذلك . وعندما ابلغ قرار النفي قال : « للرب الارض بكاملها الدنيا وكل الساكنين فيها » .

وبقي مبعداً هناك مدة طويلة احتمل في خلالها ضروب العذاب بصبر ايوبي . وكأن البغضاء صورت لاعدائه مسافة هـذا النفي قريبة فسعوا لابعاده الى اقاصي آسيا الصغرى وبينما كان الجنود يجرون ذلـك الجسم الهزيل في طريق النفي جراً ، اسلم روحه في يد باريها وذلك سنة ٤٠٧ فأثلج نبأ وفاته صدور اعدائه القليلين ونزل نزول الصاعقـة على رؤوس انصاره الكثيرين .

وقد بقيت فئة من مريديه منفصلة عن الكنيسة لا تقيم رئاسة سواه

واطلق على افرادها اسم « يوحنيين » . ولم تعد هذه الكتلة الى احضان الكنيسة الا بعد ان ردت الى رئيسها كرامته وذلك على عهد الامبراطور ثيوذوسيوس الثاني الذي امر بنقل رفات القديس يوحنا من المنفى الى العاصمة ووضعها بين مظاهر التكريم والتعظيم في كنيسة الرسل القديسين .

هذه كلمة موجزة عن القديس يوحنا رئيس اساقفة القسطنطينية وعن جهاده في سبيل الكنيسة واحتماله الاضطهادات لاجل الحق والصواب .

اما مؤلفاته فكثيرة وهي عظات وخطب ورسائل تتحلى بفصاحة اللفظ وبلاغة المعنى . ففي عظاته يفسر الكتب المقدسة فيشرح اولا متن الكتاب ثم ينصح للشعب ان يتبنى افكار الكاتب واخيراً يهيب به ان يحقق المثل العليا التي يتضمنها الموضوع . مقتفيا بتفسيره خطى اساتذة المدرسة الانطاكية على الطريقة المعروفة بالحرفية او النقدية . ومتجنبا طريقة اساتذة مدرسة الاسكندرية المجازية .

واشهر خطبه (عن التماثيل) و (الى آفتروبيوس) و (عن الكهنوت) وهو يستشهد فيها بكتاب اليونان القدماء وبفلاسفتهم وشعرائهم .

غير ان رسائله تبحث في مواضيع مختلفة من يطالعها يقف على سيرة حياته وحالة الكنيسة في عصره . وما كتبه منها في منفاه يدمي الفؤاد ويدل على قوة صبره واحتماله وعلى فظاعة العذابات التي تعرض لها .

وقد وضع ايضاً خدمة القداس الالهي المعروف باسمه وهي مختصر قداس باسيليوس الكبير .

ان يوحنا كان قديساً بطهارته وعفته وراعياً صالحاً بادارة شؤون الكنيسة والرعية وعالماً متضلعاً من اللاهوت والفلسفة .

ولكن في هذه الميادين كلها كان له مضارعون . انما الامر الذي لا يجاريه فيه احد فهو نبوغة في فن الخطابة . فهو اخطب رجل في المسيحية على الاطلاق . هو ذيوستين الكنيسة لذلك لقب بالذهبي الفم . هذا اللقب الذي لم يعط لغيره لا من قبل ولا من بعد .

فالذهبي الفم في العالم واحد وهو يوحنا ابن انطاكية . وفي هذا ما فيه لنا نحن ابناء الكرسي الانطاكي من فخر ومجد نضيفهما الى تراث تاريخي يرفع اسم وطننا عالياً بين الاوطان ويخلد اسماء نوابغنا على مدى الازمان .

اعرف نفسك

اذيعت من راديو الشرق
في ٢٢ اذار سنة ١٩٦٣

*

سنة ٤٧٠ قبل المسيح ولد في اثينا انسان من اب صنعته نحات تماثيل وام مهنتها مولدة فنشأ رجلاً مولداً في عقله ونحاتاً في اسلوبه المبتكر. واندفع من تلقاء ذاته لا مأجوراً ولا ساعياً وراء مجد او شهرة لتعليم ابناء وطنه فأصبح بعد حين معلماً للانسانة.

لقد علم هذا الحكيم تعاليم خلقية سامية يدور معظمها حول الفضيلة والصلاح وترمي كلها الى جعل الانسان كاملاً بالقول والعمل.

فمن تعاليمه: ان الانسان الصديق هو من يعرف الصلاح ويعمل به فالصلاح ينتج اللذة والكمال.

وان العفة والرجولة يقودان الى العدالة أي الى اتمام الشرائع الالهية والمدنية.

وان الفضيلة والسعادة هما شقيقتان لا تفترقان.

وان الدين هو فعل الخير والعدل.

وان الله هو ربان النواميس الخلقية . واننا ندرك وجوده تعالى من تناسب الطبيعة في الانسان وفي الكون .

ومن تعاليمه ايضا : ان النفس البشرية هي شبيهة بالله بالعقل وبالعمل الخير المنظور لذلك هي خالدة .

وان كل علم لا يساعد على ترقية الحياة الاجتماعية هو باطل وغير مرضي لدى الله .

واخيراً علم هذا الفيلسوف الاثيناني : ان مصدر كل معرفة هي معرفة النفس فقال كلمته المشهورة : « اعرف نفسك » .

هذا هو سقراط الذي حارب حكماء عصره السفسطائيين فأوجد لنفسه اعداء الداء فحكم عليه بالاعدام .

وبعد اربعماية سنة من وفاة سقراط ولد في فلسطين اله من فتاة فقيرة وتربى على يد شيخ نجار فنشأ (بالجسد) زعيم الفقراء ونجاراً في نزعته لتجديد البشرية تجديداً روحيا . وراح يعلم ابناء وطنه تعاليم روحية ترمي الى اقران القول بالفعل كقوله : « ليس من يقول يا رب يا رب يدخل ملكوت السماء بل الذي يعمل مشيئة الاب الذي في السماوات » . وعاش حياة تنطبق على آرائه واقواله .

فكان راعياً يفتش عن الخروف الضال ويقود القطيع الى المراعي الخصبة .

ومعلما يذيب قلبه على لسانه .

وطبيباً يشفي الآم الانسانية وأوصابها .

وأبا يشفق على الشاردين من الابناء .

وقديساً يعطف على الخطأة والضعفاء . حتى انه قال للذين ارادوا ان يرجموا الزانية « من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها اولا بحجر » (يوحنا ٨ : ٧) وقال للذين يعيشون في الارض فسادا « لا تدينوا لئلا تدانوا » (متى ٧ : ١) وللذي يدعي معرفة الناس وهو يجهل نفسه « لماذا تنظر القذى في عين اخيك اما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها » . (متى ٧ : ٣)

واخيراً اعطى مثلا اعلى للاخلاق اذ قال : « ليكن كلامكم النعم نعم واللا لا » (متى ٥ : ٣٧) .

هذا هو الاله المتأنس يسوع الذي حمل على معلمي امته اليهودية (الكتبة والفريسيين) حملات شعواء ادت الى رفعه على خشبة الصليب .

ثم جاء اول واعظ في المسيحية الرسول بولس الذي وفق بين فلسفة سقراط البشرية وفلسفة يسوع الالهية فقال : « انت بلا عذر ايها الانسان كل من يدين لانك في ما تدين غيرك تحكم على نفسك لانك انت الذي تدين تفعل تلك الامور بعينها » (رسالة بولس الى اهل رومية ٢ : ١)

وهل هذه الكلمات الواضحة الا تفسير « اعرف نفسك » ؟

ان الذين يغتابون الناس فريقان : فريق يتكلم بدون خجل . وفريق آخر يتستر بالحياء ويتظاهر بالاسف فيقول احدهم مثلا « يؤلمني ان يكون فلان قد وقع في الخطأ الفلاني مع انه صاحب مواهب » وهكذا يخفي لؤمه

في قلبه (متى ١٢ : ٣٤) ولكن لو لم يوجد من يصغي لمثل هؤلاء لما وجد واش واحد . لذلك يؤاخذ الواشي والسامع معا .

يقول القديس باسيليوس الكبير : « ان الواشي يسيء الى ثلاثة اشخاص للموشى به والسامع له والمتكلم نفسه » .

ويقول القديس امبروسيوس : « ان الرجل العاقل يفتكر قبل ان يتكلم عن اي شيء سيتكلم ومع من وفي اي مكان وفي اي زمان » . فالحكمة تقضي بأن نصم آذاننا عن الاستماع الى كلام الوشاة والا كنا مشاركين لهم في الخطأ

وخلاصة القول :

ان معرفة النفس هي اساس كل معرفة . ومن عرف نفسه لا يغتاب غيره . اذا من يغتاب الناس يكون جاهلاً . هذه نتيجة منطقية بالاستناد الى فلسفة سقراط وتعاليم السيد المسيح وتلميذه بولس .

فيا ايها الاب الذي يعرف ان ينهي بنيه عن شرب الخمرة وهو يكرعها من الزق اعرف نفسك فبنوك يعرفونك ويسخرون من ارشاداتك .

وانت ايتها الام التي تعرف ان توصي ابنتها بالعفة وهي تنهج سبل الخلاعة اعرفي نفسك فابنتك تعرفك وتهزأ من وصاياك .

ويا ايها الخطيب الذي يعرف خطاباً واحداً يلقيه في كل المناسبات اعرف نفسك فقد عرفك سامعوك وخطابك لا يستدعي منهم غير الشفقة عليك .

وأنت ايها السامع ايا كنت اعرف نفسك لتعرف العالم كله لانه « ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه (مرقص ٨ . ٣٤)

واجبات المسيحيين في الاحوال الحاضرة

ارتجلت في نادي التعاون بتاريخ ٢٦ اذار سنة ١٩٦٢

*

عندما طلب الي ان اقول كلمة في هذه الحفلة الكريمة وفرض علي الموضوع فرضا ظننت اني وضعت ضمن دائرة ضيقة . ولكن عندما اخذت افكر في الموضوع رايتني كلما ارتفعت بتفكيري كلما اتسعت دائرة الموضوع حولي فكان حالي حال انسان في واديرى الافق من وراء الجبال المحيطة به ولكن عندما يرتفع الي راس الجبل تتسع امام نظره دائرة الافق .

فآفاق الموضوع واسعة لان هناك واجبات المرء نحو نفسه ونحو بيئته ونحو العالم اجمع . ولكن رويدا فلن اذهب بكم الى تلك الافاق البعيدة في هذا الوقت القصير وانما احصر كلامي في الموضوع :

« واجبات المسيحيين في الاحوال الحاضرة » الواجبات جمع واجب وهو ما يفرضه علي وعليك الناموس . فالواجب والحق مرتبطان . فكل حق يقابله واجب وكل واجب يقابله حق . هذا هو العدل وهكذا تقول الفلسفة الخلقية . ولكن الدين المسيحي يذهب الى ابعد من ذلك . فقد قال المسيح « اذا احببتم الذين يحبونكم واذا احسنتم الى الذين يحسنون اليكم .

واذا اقرضتم من ترجون منهم المثل اي فضل لكم فألامم هكذا يفعلون لكن احبوا اعدائكم باركوا لاعنيكم احسنوا الى الذين يسيئون اليكم اقرضوا من لا ترجون منهم بدلا »

فالمقصود اذاً من كلمة « واجبات » هنا الاعمال التي لا يقابلها حقوق .

« واجبات المسيحيين »

من هم المسيحيون ؟

انا لا اقول ما قال احد المفكرين «يوجد في العالم مسيحي واحد وهو المسيح» لاني اعتقد بوجود نفر من المسيحيين ولو كان قليلاً . ولكن بربكم افيدوني :

هل هولاء الذين يهضمون حقوق الارامل واليتامى ويسلبونهم اموالهم ويتخطرون في الشوارع والاسواق بسياراتهم واصحاب الحق المهضوم حفاة عراة هم مسيحيون ؟

واولئك الذين يحتكرون خبز الفقير ويجمعون من ثمنه الاموال لينفقوها على ملذاتهم الخاصة والفقير يتضور جوعا هم مسيحيون ؟

كلنا نعرف كيف عاش المسيح . فهلا نشعر بخجل عندما نقابل بين حياته وحياتنا ؟

فيظهر ان المقصود من كلمة « مسيحيين » هنا كل من يحمل تذكرة هوية تصرح بانه مسيحي .

وماذا يقصد بكلمتي الاحوال الحاضرة ؟

اسمحوا لي ان أقبل هاتين الكلمتين كما وردتا في الموضوع دون تعليق لئلا أزلق الى حديث سياسي يكون وخيم العاقبة علي .

فيكون موضوعنا هكذا : ماذا يجب على المدعوين مسيحيين ان يفعلوا في الاحوال الحاضرة »

سألت شاعراً هذا السؤال فقال : يجب ان نشعر مع المتألمين والمصابين والمنكوبين واستشهد بقول الرسول بولس « من منكم يحزن ولا أحزن معه » .

فاجبته : وهل يشبع الشعور جائعاً او يروي ظمآنا او يكسو عريانا ؟

وانصرفت عنه ورحت اوجه هذا السؤال الى تاثر ناقم على امته فقال : يجب ان نضع ايرادات الاوقاف والاديار والكنائس تحت تصرف الفقراء والمنكوبين والمصابين لان هذه المؤسسات كلها مسجلة باسم الفقراء وموقوفة من اصحابها الاتقياء لمثل هذه الاحوال .

فاجبته : حبذا لو تحققت احلامك .

وانصرفت عنه ورحت اسأل مؤرخاً فقال : اما قرأت في التاريخ انه عندما كان يلم بالبلاد وباء كان المسيحيون يزجون بأنفسهم في الخطر لمؤاساة المرضى من غير مذهبهم ؟ فاجبته : نعم لقد قرأت ذلك . وانصرفت عنه وذهبت الى متدين وطرحت عليه هذا السؤال فقال : يجب ان نصوم ونصلي

ليرفع الله عنا اخطار الحروب . واستشهد بقول السيد المسيح « صوموا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة »

فاجبته : هل الله بحاجة الى الاقتناع ليرفع الحروب ؟ وهل الصلاة وسائر الطقوس الدينية وضعت لاقناع الله ام لاقناع الناس بالرجوع عن الاخطاء ؟

وانصرفت عنه ورحت اسأل كربماً فقال : يجب علينا ان نعطي كل ما نملك للفقراء والمنكوبين والمصابين والمهاجرين لانه ورد في الانجيل المقدس ان السيد المسيح قال للشاب الغني « اذهب بع كل ما لك واعط الفقراء » فاجبته : وورد في الانجيل ايضاً « لا يأخذون خبز البنين ويطرحونه للكلاب » وانصرفت عنه وذهبت الى بخيل وطرحت عليه هذا السؤال فقال : يجب على كل من الناس ان يساعد نفسه فلا يعود احد محتاجا للمساعدة فاجبته : وان ساعد كل منا نفسه يبقى هناك عدد ممن حكمت عليهم الطبيعة بالعجز فلا يستطيعون ان يعتنوا بانفسهم .

واخيرا عدت الى نفسي وسألتها فقالت لي :

يجب علينا ان نعمل كل ما رويت على لسان الشاعر والناثر والمؤرخ والمتدين والكريم والبخيل . اعني : يجب ان نشعر مع العاجزين عن اعانة انفسهم ومتى شعرنا مددنا لمساعدتهم ايدينا فالشعور اساس العمل . ويجب ان نثور مع الثائرين على المحتكرين وهاضمي حقوق الضعفاء . وان كانت ثورتنا لا تضع حدا للظلم اليوم فستأتي ساعة يعلم فيها الظالمون اي منقلب ينقلبون

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

ويجب ان نتشبه بالمسيحيين القدماء بمساعدة العاجزين على اختلاف مذاهبهم والوانهم ولغاتهم .

ويجب ان نعود الى الله ولكن ليس بترديد الصلوات ترديداً آليا بل بالعمل بموجب وصاياه تعالى : فالدين عمل لا اقوال .

ويجب ان نكون كرماء باغاثة العاجزين وبخلاء تجاه الدجالين الذين يتخذون الاستعطاء مهنة ويجب ان نضرب هؤلاء بالعصا .

اصلاح خطاء

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠	١٩	نظن اللاهوت شبيه	نظن ان االاهوت شبيه
١٤	٨	وهناك علم مرصع	وهناك علم مرصع فوق قاعدة رخامية
١٨	١٠	بشارة العذراء اوتجسد	بشارة العذراء وتجسد
٢٩	١٥	مرتدين مرتدين	مرتدين
٣١	٣	ايلعب ليلة العيد من يتقن	ايلعب ليلة العيد من لا يتقن
٤٠	١	والطبيعيات	الطب والطبيعيات
٤٨	٢٠	الذي	الذين

وهناك اخطاء اخر لا تخفى على اللبيب .

BIBLIOTECA NACIONAL
LIBRARY
DE BELGRANO

فهرس الكتاب

صفحة	
١	العلم والدين
٦	الرسول بولس في اثينا
١٤	المديح الذي لا يجلس فيه
٢٠	اسباب الكفر
٢٣	الحق والواجب
٢٧	اول كانون الثاني
٣٢	باسيليوس الكبير
٣٩	غريغوريوس اللاهوتي
٤٦	يوحنا الذهبي الفم
٥٥	اعرف نفسك
٥٩	واجبات المسيحيين في الاحوال الحاضرة
٦٣	اصلاح خطأ
٦٤	فهرس الكتاب

* *

CA 204:K45mA:c.1
الخوري ،(البروتوسنجلوس) بولس
محاضارات دينية
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01002611

American University of Beirut

CA
204
K45mA

General Library